الدلالة السنية

لطرق السادة الصوفية

لجامعها

المرشد الكامل وحيد عصره سيدنا ومولانا

السيد عبد الرحمن بن حسين بن يوسف الشريف

الحسيني نسباً الحنفي مذهباً الخلوتي مشرباً الخليلي بلداً

(١٣٠٥هـ)

طبع في عهد وارث جده المؤلف

حسني حسن خير الدين عبد الرحمن الشريف

وجميع حقوق الطبع محفوظة له

(١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله الذي منّ علينا بصحة الإعتقاد، وطهر قلوبنا من أدران الشرك والوثنية والإلحاد، وأنقذنا من دركات الجاهلية والشر والفساد، وبرأنا من أهل التشبيه والتعطيل والحلول والاتحاد. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون والأفّاكون، شهادةً تنفع قائلها يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله، فتح الله به قلوباً غلفاً وأعيناً عمياً وآذاناً صماً، وهدى به من الضلالة، وبصّر به من الغَواية، ورضي الله عن صحابته الكرام، أعزهم الله بالإسلام، شرح الله صدورهم وأعلى ذكرهم، وعن الآل الأطهار، رفع الله قدرهم وجعل

الذِلةَ والصغار على من خاصمهم، وعن الأولياء العظام، أتمّ الله بهم النعمة ودلنا بهم على حقائق الإحسان.

اللّهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد الذي به عرفناك وأقرب من حبل الوريد وجدناك، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً. وبعد،

فإن كتاب الدلالة السنية صنّفه حضرة سيدنا ومولانا العارف بالله تعالى الإمام المجدد السيد الشيخ عبد الرحمن بن حسين الشريف الحسيني يُعَدّ من المناهج المهمة والأصيلة للتصوف في القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر للميلاد). لكونها جاءت في الحقبة التي فتح الله عليه بها أوراد الطريقة الخلوتية الجامعة الرحمانية، وجاءت هذه الفتوحات الربانية بما أسبغ الله عليه من إجازات طرق زمانه التي خطها له شيوخ عصره لما رأوا فيه من معالم الولاية والعلم والمعرفة. ولذلك جاءت الدلالة السنية جامعة لهذا الأمر كله بما فيها من أركان التصوف في صورته الناصعة المستندة إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وعلوم القوم ومآثرهم وفتوحاتهم.

وقد وجدنا أن الطبعة الأولى لهذه الدلالة جاءت خالية من التبويب وتخريج الأحاديث والآثار وتراجم الأعلام والعلماء. وقد كلفنا سيدي يسار الحباشنة عضو لجنة البحث العلمي في زاوية الأشراف (دار الإيمان) بالقيام بهذه المهمة لما رأيناه فيه من غَيرةٍ على علوم الشرع واطلاعٍ على أساليب البحث الحديثة ومثابرةً في التحصيل العلمي. فكان أن وفقه الله لأداء ما كُلِّف به على أفضل وجه. فقام مشكوراً بتبويب هذا الكتاب وتخريج أحاديثه. وقد وجد أن معظم الأحاديث الواردة في (الدلالة السنية) أحاديثُ صحيحةُ السند باستثناء قليل منها مما ورد في فضائل الأعمال وجدها ضعيفة السند. ومن المعلوم أن بعض العلماء يجيزون الأخذ بالأحاديث الضعيفة في فضائل الأعمال كما هو الشأن في كتاب (إحياء علوم الدين) للإمام الغزالي رحمه الله.

ونحن بإعادة طبع هذا الكتاب في حُلته الجديدة نضعه بين أيدي إخواننا للإسترشاد به إلى جانب مجموعةٍ أخرى من مصادر التصوف في طريقتنا قديمها وحديثها. كما نضعه بين أيدي الدارسين للتصوف

كواحدٍ من المراجع المهمة لعلم التصوف كما نراه، وبما وصل إليه في مرحلة تأليف هذا الكتاب.

سائلين الله أن ينفع به المسلمين وطالبي الحقيقة.

الفقير لعفو ربه

حسني حسن الشريف

١٤ شعبان ١٤٣٣ هجري

٤ تموز ٢٠١٢ ميلادي

الشريف عبد الرحمن بن حسين بن يوسف الشريف

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

مؤسس الطريقة الخلوتية الجامعة الرحمانية

(١٢٤٤هـ = ١٨٢٨م - ١٣٠٥هـ = ١٨٨٨م)

الحسيب النسيب، تاج العارفين، درة العلماء المحققين، وعمدة الفضلاء المدققين، الصوفي الكبير، السيد عبد الرحمن بن السيد حسين الأول بن السيد يوسف الأول الشريف السقواتي، المتصل نسبه الشريف بسيدنا الحسين بن السيدة فاطمة الزهراء. وأمه هي السيدة خديجة من آل الزعبي الكرام، في مدينة طرابلس الشام، ذات المشرب الجيلاني، ممن طبقت شهرتهم بلاد الشام.

ولد قُدِّس سِرُّه، في زاوية الأشراف عام أربعة وأربعين ومائتين وألف من الهجرة النبوية. ونشأ في كنف والده العارف بالله، السيد حسين الأول،

وتحت رعاية والدته. تربى على يدي والديه التربية الدينية الحقة، وتلقى عن والده علوم الطريقة الخلوتية وتعلم أورادها وآدابها، ما أهّله لخلافة والده في مشيخة الطريقة الخلوتية، والقيام على تربية المريدين، وإرشاد السالكين.

وفي الرابعة عشرة من عمره، فقد والده، وبقيت والدته، السيدة خديجة الزعبية، فشمّر عن ساعد الجد والعمل، وامتثل لأمر والده وكذا رغبة والدته في إرساله إلى طرابلس الشام، لتلقي الطريقة الخلوتية عن خؤولتها آل الرافعي وأخذ العهد من شيخها الأكبر آنذاك، الشيخ محمود الرافعي، الملقب بأبي الأنوار، فأقام بضع سنوات، فنال ما رامه. والراوية التالية التي وردت في إجازته قُدس سره إلى أحد خلفائه تشير لذلك:

(إِنَّ وَالِدِي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ صَرَّحَ لِي بِأَنَّ شَيْخِي هُوَ أَبُو الأَنْوَارِ مَحْمُوْدٌ الْطَّرَابُلْسِيّ الرَّافِعِيّ العُمَرِيّ، قَائِلاً لِي: «يَا وَلَدِي قَدْ أَخْبَرْتُكَ بِما أَنا مُجازٌ بِهِ مِنْ أَشْيَاخِي. غَيْرَ أَنَّ شَيْخَكَ الَّذي عَلَيْهِ المُعَوَّلُ، وَخِدْمَتُهُ أَوَّلُ، هُوَ سَيِّدي أَبو الأَنْوارِ. فَتَوَجَّهْ إِلَيْهِ بَعْدَ مَوْتي لِتَغْتَنِمَ أَنْظارَهُ وَرِضَائِي».

فَكَانَ الأَمْرُ كَما أَمَرَ؛ وَهُو بِأَنْ آتي سَيِّدي العَارِفِ المُشارِ إليهِ بعدَ أَن انْتَقَلَ وَالِدِي بِشَهْرَيْنِ. وَكَانَ عُمْرُ الشَّيّخِ عَبدِ الرَّحْمنِ حِينَذاكَ أَرْبَعَ عَشْرةَ

سَنَةٍ . ثمَّ أَمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِتَوَجُّهي صُحْبَتَهُ، فَتَوَجَّهْتُ لِخِدْمَتِهِ مَصْحوباً بِوَالِدَتي وَإِخْوَتي. وَأَقَمْتُ بِذَلِكَ النَّادِي، وَاقِفاً بَيْنَ الأَيَادي ثَلاثَ سِنينَ، بَعْدَ أَنْ لَقَّنَنِي الأَسْماءَ السَّبْعَةَ عَلى طَرِيقِ السَّادَةِ الخَلْوَتِيَّةِ بِالإِشَاراتِ البَاطِنِيَّةِ. وَأَدْخَلَنِي خَلْوَتَهُمُ المَرْضِيَّةَ. وَأَلْبَسَنِي خِرْقَتَهُمُ السَّنِيَّةَ. وَأَجازَني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِجَازَةً صَرِيحَةً عَامَّةً مُطْلَقَةً في ذَلِكَ كُلِّهِ؛ وَهُوَ بِأَنْ أُجِيزُ مَنْ شِئْتُ).

ثم توجه سيدنا عبد الرحمن من هناك إلىٰ دمشق الفيحاء، فجاور في جامعها الأموي الكبير سنوات عدة، نهل خلالها من العلوم الدينية والأدبية، عن كبار علمائها المدرسين لفنون العلم، بعد أن كان قد استكمل علم الحقيقة في طرابلس الشام، فعاد إلىٰ مسقط رأسه، مدينة خليل الرحمن، وأقام في زاوية آبائه وأجداده، ناشطاً إلىٰ نشر الحقيقة، وتشييد الطريقة، فبنى أسسها، وسطر كل ما يتعلق بها، من أوراد وأذكار، وتعاليم وآداب سلوكية، حتىٰ اشتهرت باسمه، وشاعت وذاعت بفضل جهوده. فلباه رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله. وكثر أتباعه ومريدوه، في مدينة الخليل وقضائها.

كان، قدس الله سره، ربع القامة، معتدل الجسم، كث اللحية، أبيض البشرة، واسع العينين، يرسل شعره حتىٰ شحمة أذنيه، ويعتم

بعمامة بيضاء، يستبدلها أحياناً بخضراء، يكورها فوق تاج الطريقة، بعذبة مسبلة بين كتفيه، على جبة من الصوف من تحتها قمباز.

إلى الشيخ عبد الرحمن يعود . بعد الله تعالى . الفضل في ظهور ما سُمي بعده بالطريقة الخلوتية الجامعة الرحمانية، ثم إلى زاوية السادة الأشراف الفواقا، التي لها في سيرة حياتهم شأن يذكر، لأنها تاريخهم الحافل. ووجودهم في مدينة خليل الرحمن خرّج منها كل عالم وعامل، وصوفي ذائق، ومربٍ فائق... نظموهم عقداً في جيد الزمان.

وإلى جانب انهماك الشيخ عبد الرحمن، في أمور الطريقة ونشرها، فقد أنابه قاضي الخليل، الشيخ عبد الحميد الخيري الفاروقي، أن يقوم مقامه، في الفصل في الأحكام الشرعية على القاعدة الحنفية، في الدعاوى المتعلقة بالحقوق الشخصية. وأعطاه توكيلاً رسمياً بذلك.

وهذا المنصب، الذي كفي قيامُه به من مشقة القدوم إلى مدينة الخليل، التي كانت الناس ستتحملها جراء ذهابها إلى القاضي، ناهيك عن صعوبة المواصلات في ذلك الزمن، ووعورة الطرقات، فلا شك أنه خدم بها خلقاً من الناس الضعفاء والبسطاء، منطلقاً من مبادئه الصوفية في حمل أثقال الناس وكف الأذى عنهم.

وسوىٰ هذا المنصب، لم يشغل غيره، بل أبقىٰ جهده مستفرغاً في نشر الطريقة والدعوة إلى الله. وكانت حصيلة مؤلفاته متنوعة، جلها في التصوف ومن هذه المؤلفات التي فتح الله به عليها والأوراد التي أُلهِمَها فاستنار وأنار بها، فكانت معانيها ومبانيها فتحاً مبيناً، لعله لم يسبقه لمثله سابق:

١) وردة الدرة الشريفة.

٢) حزب السيف.

٣) حزب الهمزة.

٤) ورد القرآن.

٥) كتاب النصائح الرحمانية (ضَمَّنَهُ دراً من النصح والإرشاد بلسان المعرفة والذوق).

٦) كتاب الدلالة السَّنية.

٧) دلالة المسكين (شرح فيه أصول الطريق وآدابها وقواعد التصوف).

٨) كتاب المولد النبوي الشريف.

وكان قدس الله سره، أديباً بليغاً، وشاعراً صوفياً كبيراً امتلك ناصية البيان، وطوّع في شعره اللغة للتعبير عن المعاني الروحية والسلوكية والعرفانية بأسلوب يتغلغل في نفوس المريدين ويمس شغاف السامعين. وإن قصيدته التي سميت «تحفة الإخلاص» لَتَدل علىٰ ما له من قدم راسخة في العرفان والحقيقة واللغة والأدب. وله قصائد متنوعة ومساجلات شعرية مع صديقه العلامة الشيخ محمد خليل الخطيب التميمي الذي كان مفتي مدينة الخليل.

انتقل رحمه الله إلىٰ جواره سنة ١٣٠٥هـ الموافقة ١٨٨٨م، فيكون قد عاش في هذه الدنيا الزائلة إحدىٰ وستين سنة، ودفن إلىٰ جوار والده في زاوية الأشراف. رضي الله عنه ونفعنا ببركاته وأمداده. آمين.

نماذج من الأصل

- ٣ -

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

نَحْمَدُكَ يَامَنْ بِيَدِكَ التَّوْفِيقُ ، وَنَشْكُرُكَ عَلَى أَنْ وَهَبْتَنَا مَحَبَّةَ السَّالِكِينَ لِأَقْوَمِ طَرِيقٍ ، وَنُصَلِّي وَنُسَلِّمُ عَلَى رَسُولِكَ الْأَعْظَمِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَسِيلَتِنَا الْمُفْضِي إِلَيْكَ ، مَظْهَرُ أُلُوهِيَّتِكَ ، الدَّالُّ بِكَ عَلَيْكَ ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الْمُجِدِّينَ فِي جَمْعِ جَمِيعِ الْقُلُوبِ الْمُجْتَمِعَةِ قُلُوبُهُمْ عَلَى مَحَبَّتِهِ مَعَ بُغْضِ وَإِبْعَادِ كُلِّ فَظٍّ مَحْجُوبٍ ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا مَا نَالَ مُرِيدٌ مَرَامَهُ ، وَضُرِبَتْ فِي عَرَصَاتِ الْمَحَبَّةِ لِسَادَاتِهِ خِيَامُهُ .

وَبَعْدُ : فَيَقُولُ رِقُّ الْجَنَابِ الرَّفِيقِ ، وَخُوَيْدِمُ السَّادَاتِ أَهْلِ الطَّرِيقِ ، الْفَقِيرُ الْحَقِيرُ ، عَبْدُ الرَّحْمٰنِ بْنُ حُسَيْنِ بْنِ يُوسُفَ الشَّرِيفُ ، أَمَدَّهُ اللهُ بِوَافِرِ إِمْدَادَاتِهِ الْبَاهِرَةِ ، وَحَلَّاهُ بِحُلَلِ جَمَالِ فُيُوضَاتِهِ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ ، سَأَلَنِي بَعْضُ الْإِخْوَانِ الَّذِينَ هُمْ يَتَرَدَّدُونَ إِلَيَّ ، وَيَعُوذُونَ فِي مُهِمَّاتِهِمْ لِصَفَاءِ طَوِيَّاتِهِمْ

(صفحة البداية)

وَحُسْنِ اعْتِقَادَاتِهِمْ عَلَيَّ، وَفَّقَنِي اللهُ وَإِيَّاهُمْ لِكُلِّ فِعْلٍ مَحْمُودٍ، وَأَوْصَلَنَا جَمِيعًا بِمَزِيدِ فَضْلِهِ وَمَنِّهِ لِأَعْظَمِ مَقْصُودٍ — أَنْ أَعْمَلَ رِسَالَةً فِي بَيَانِ الطَّرِيقِ، بِالْأَدِلَّةِ الْوَاضِحَةِ الصَّرِيحَةِ الْآخِذِ بِهَا أُولَئِكَ الْفَرِيقِ، يَهْتَدِي بِهَا كُلُّ حَيْرَانٍ، وَيَرْتَوِي بِهَا كُلُّ ظَمْآنٍ، اطْمِئْنَانًا لِأَهْلِ الِاعْتِقَادِ، وَرَدْعًا لِأَرْبَابِ الِاعْتِرَاضِ وَالِانْتِقَادِ، فَأَجَبْتُهُ لِمَطْلُوبِهِ، وَأَسْعَفْتُهُ بِمَرْغُوبِهِ؛ فَإِنِّي وَإِنْ لَمْ أَكُنْ مِنْ أَهْلِ هَذَا الْفَنِّ، إِلَّا أَنِّي وَافَقْتُ مَا عِنْدِي مِنْ حُسْنِ الظَّنِّ، مُعْتَمِدًا فِي ذَلِكَ عَلَى هِمَمِ أَشْيَاخِي الْكِرَامِ، طَالِبًا مِنَ اللهِ بِأَنْفَاسِهِمْ صَوَابَ الْإِلْهَامِ، وَحُسْنَ الْخِتَامِ، مُتَمَسِّكًا بِقَوْلِ مَنْ قَالَ مِنْ كُمَّلِ الرِّجَالِ:

فَتَشَبَّهُوا إِنْ لَمْ تَكُونُوا مِثْلَهُمْ
إِنَّ التَّشَبُّهَ بِالرِّجَالِ فَلَاحُ

لَاسِيَّمَا وَبِذِكْرِهِمْ تَنْزِلُ الرَّحَمَاتُ، وَبِأَنْظَارِهِمْ تَسْتَمِدُّ الْكَائِنَاتُ:

لِي سَادَةٌ مِنْ عِزِّهِمْ أَقْدَامُهُمْ فَوْقَ الْجِبَاهْ
إِنْ لَمْ أَكُنْ مِنْهُمْ فَلِي بِذِكْرِهِمْ عِزٌّ وَجَاهْ

(الصفحة الثانية)

مُقَدِّمَة

نَحْمَدُكَ يا مَنْ بيدِكَ التَّوْفيقُ، وَنَشْكُرُكَ عَلى أنْ وَهَبْتَنا مَحَبّة السّالِكينَ لأقوَمِ طَريقٍ، وَنُصَلّي وَنُسَلِّمُ عَلى رَسولِكَ الأعْظَمِ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وَسيلَتِنا العُظْمى إلَيْكَ، مَظْهَرِ أُلوهيّتِكَ، الدّالِّ بِكَ عَلَيْكَ، وَعَلى آلِهِ وأصْحابِهِ المُجِدّينَ في جَمْعِ جَميعِ القُلوبِ، المُجْتَمِعة قُلوبُهُمْ عَلى مَحَبَّتِهِ مَعَ بُغْضِ وإبعادِ كُلِّ فَظٍّ مَحْجوبٍ، وَسَلِّم تَسْليماً كَثيراً، ما نالَ مُريدٌ مَرامَهُ، وَضُرِبَتْ في عَرَصاتِ المَحَبّة لِساداتِهِ خيامُهُ. وَبَعْدُ.

فَيَقولُ رِقُّ الجَنابِ الرَّقيق، وَخويْدِمُ السّاداتِ أهْلِ الطَّريقِ، الفَقيرُ الحَقيرُ عَبْدُ الرَّحْمنِ بنُ حُسَيْنِ بْنِ يوسُفَ الشَّريفُ . أمَدَّهُ اللهُ بِوافِرِ إمْداداتِهِ الباهِرة، وَحَلّاهُ بحُلَلِ جَمالِ فُيوضاتِهِ الباطِنة والظّاهِرة.:

سألَني بَعْضُ الإخْوانِ الَّذينَ هُمْ يَتَرَدَّدونَ إلَيَّ، وَيُعَوِّلونَ في مُهِمّاتِهِمْ لِصَفاءِ طَويّاتِهِمْ وَحُسْنِ اعْتِقاداتِهِمْ عَلَيَّ . وَفَّقَني اللهُ وايّاهُمْ لِكُلِّ فِعْلٍ مَحْمودٍ، وأوصَلَنا جَميعاً بِمَزيدِ فَضْلِهِ وَمِنَّتِهِ لأعْظَمِ مَقْصودٍ . أنْ أعْمَلَ

رِسالةً في بَيانِ الطَّريقِ، بِالأدِلّة الواضِحة الصَّريحة الآخِذِ بها أولَئِكَ الفَريق، يَهْتَدي بِها كُلُّ حَيْرانٍ، وَيَرْتَوي بِها كُلُّ ظَمْآنٍ؛ اطْمِئْناناً لِأهْلِ الاعْتِقادِ، وَرَدْعاً لِأرْبابِ الِاعْتِراضِ والِانْتِقادِ.

فأجَبْتُهُ لِمَطْلوبِهِ، وأسْعَفْتُهُ بِمَرْغوبِهِ؛ فإنّي وإنْ لَمْ أكُنْ مِنْ أهْلِ هَذا الفَنِّ، إلّا أنّي وافَقْتُ ما عِنْدي مِنْ حُسْنِ الظَّنِّ، مُعْتَمِداً في ذَلِكَ على هِمَمِ أشْياخي الكِرامِ، طالِباً مِنَ اللهِ بِأنْفاسِهِمْ صَوابَ الإلهام، وَحُسْنَ الخِتامِ، مُتَمَسِّكاً بِقَوْلِ مَنْ قالَ مِنْ كُمَّلِ الرِّجالِ [من الكامل]:

فَتَشَبَّهوا إنْ لَمْ تكونوا مِثْلَهُمْ

إنَّ التَّشَبُّهَ بِالرِّجالِ فَلاحُ [1]

لاسيما وَبِذِكْرِهِمْ تَنْزِلُ الرَّحَماتُ، وَبِأنْظارِهِمْ تَسْتَمِدُّ الكائِناتُ [مجزوء الرجز]:

لِيْ سادةٌ مِنْ عِزِّهِمْ أقْدامُهُمْ فَوْقَ الجِباهْ

إنْ لَمْ أكُنْ مِنْهُمْ فَلي بِذِكْرِهِمْ عِزٌّ وَجاهْ [2]

---

١) هو شهاب الدين يحيى بن حبش السهروردي من قصيدته التي مطلعها:

أبداً تحنُّ إليكمُ الأرواحُ = ووصالُكم ريحانُها والراحُ

«ديوان السهروردي المقتول» ص ٦٢، «معجم الأدباء»٦/٢٨٠٨.

وسميتها "الدلالة السنية لطرق السادة الصوفية".

وَهذا أوانُ الشُّروعِ، فأقولُ . وَبِاللهِ العِناية، والتَّوْفيقُ الكامِلُ والهِداية.:

اعْلَمْ . يا أخي . أنَّ طَريقَ اللهِ تَعالى هي تَتَبُّعُ أخلاقِ النَّبي ﷺ والعَمَلُ بِها.

وَحينَئِذٍ فَهي عَيْنُ الشَّريعة، لا تَبايُنَ بَيْنَهُما لِتَلازُمِهِما؛ فالطَّريقة إلى اللهِ تَعالى لها ظاهِرٌ وَباطِنٌ؛ فَظاهِرُها الشَّريعة، وَباطِنُها الحَقيقة.

فَبُطونُ الحَقيقة في الشَّريعة كَبُطونِ الزُّبْدة في اللَّبَنِ، والمَعْدِنِ في الكنْزِ؛ فَبِدونِ خَضِّ اللَّبَنِ وَحَفْرِ الكَنْزِ لا تَظْفَرُ بِالزُّبْدة ولا بالمَعْدِنِ. فالخَضُّ والحَفْرُ بِمَثابة الطَّريقِ.

فالشَّريعة أقْوالٌ، والطَّرِيقة أفْعالٌ، والشَّريعة أنْ تَعْبُدَ اللهَ، والطَّريقة أنْ تَسْتَحْضِرَهُ، والحَقيقة أنْ تَشْهَدَهُ.

---

٢) لم أهتدِ إلى قائله، وكثُر التمثُّل به دون نسبة؛ كما فعل المحبي في «خلاصة الأثر» / [ترجمة منصور بن عبد الرزاق بن صالح المعروف بالطوخي المصري الشافعي].

قال شَيْخُ شَيْخِنا أبو البَرَكاتِ الشَّيْخُ الدَّرْديرُ [٣] في رِسالَتِهِ المُسَمّاةِ «تُحْفة الإخْوانِ»:

اعْلَمْ يا أخي . أنَّ الطَّريقة عَزيزةٌ لا يَهْتَدي بِها سِوى المُخْتار! وطَريقُ القَوْمِ تَقْوى اللهِ تَعالى الَّتي أمَرَنا بِها في كِتابِهِ وَعَلى لِسانِ نَبيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَرَتَّبَ عَلَيها سَعادةَ الدُّنْيا والآخِرة، وَحُصولَ المَعارِفِ والأسْرارِ الإلهيةِ، والتَّكَفُّلَ بِالرِّزْقِ مِنْ غَيْرِ مَشَقّة، وَحَكَمَ سُبْحانَهُ

---

٣) الشيخ أحمد بن محمد بن أحمد العدوي، أبو البركات، الشهير بالدردير (١١٢٧ - ١٢٠١ هـ = ١٧١٥ - ١٧٨٦ م).

من فقهاء المالكية، ولد في بني عدي بمصر، وتعلم بالأزهر، تولى مشيخة الطريقة الخلوتية والإفتاء بمصر، وتوفي بالقاهرة.

من كتبه: «أقرب المسالك لمذهب الإمام مالك»، «منح التقدير» فقه، «تحفة الإخوان في آداب أهل العرفان» في التصوف، «شرح صلوات السيد أحمد البدوي»، «رسالة التوحيد»، «المورد البارق في الصلاة على أفضل الخلائق»، «منظومة الخريدة البهية» في التوحيد، «فتح القدير في أحاديث البشير النذير».

يُنظر: «الأعلام» للزركلي ١/٢٤٤، «موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان» ٢٢/٢٠٠.

وَتَعالى بِأنَّ مَنْ تَمَسَّكَ بها أكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِ كانَ عِنْدَ اللهِ أكْرَمَ؛ قالَ تَعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

وَقالَ تَعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٨﴾ [الحديد: ٢٨].

وَقالَ تَعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ٣﴾ [الطلاق: ٢ – ٣].

وَقالَ تَعالى: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾ [الحجرات: ١٣].

وانْظُرْ إلى قَوْلِهِ: ﴿أَتۡقَىٰكُمۡ﴾ وَلَمْ يَقُلْ: أعْلَمَكُمْ، وَلا أنْسَبَكُمْ، وَلا أشْجَعَكُمْ، وَلا أفْصَحَكُمْ، ولا أجْمَلَكُم؛ إلى غَيْرِ ذَلِكَ. اهـ بالحَرْفِ الواحِدِ (٤).

---

٤) «تحفة الإخوان في آداب أهل العرفان» للشيخ الدردير [مطلع الرسالة].

عَلِمْنا مِنْ هذا أنّ الطَّريقَ هي: التَّمَسُّكُ بِالتّقْوى، والِاشْتِغالُ بِها عَلى الوَجْهِ المُرادِ مِنَ العَبْدِ؛ قالَ تَعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وقالَ تَعالى: ﴿ وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقٗا ﴿١٦﴾ ﴾ [الجن: ١٦].

فالشَّريعة رُخَصٌ، والطَّريقة عَزائِمُ.

مِثالهُ: إذا أكَلَ الصّائِمُ بَطَلَ صَوْمُهُ في الشَّريعة، وإذا اغْتابَ بَطَلَ صَوْمُهُ في الطّريقة.

قالَ سَيِّدي عَبْدُ القادِرِ الجيلي . قُدِّسَ سِرُّهُ . [٥] في كِتابِهِ المُسَمّى «أسْرارَ الأسْرارِ»:

---

٥) الشيخ محيي الدين عبد القادر بن موسى بن عبد الله الجيلاني، أو الجيلي . نسبةً إلى جيلان من طبرستان في الجنوب الغربي لبحر قزوين في إيران . أبو محمد، (٤٧١ - ٥٦١ هـ = ١٠٧٨ - ١١٦٦م) يرجع نسبه إلى سيدنا الحسن بن علي بن أبي طالب، من كبار الزهاد والمتصوفين. انتقل إلى بغداد شاباً سنة ٤٨٨ هـ، فاتصل بشيوخ العلم والتصوف، وبرع في أساليب الوعظ، وتفقه، وسمع الحديث، وقرأ الأدب، واشتُهر وتصدر للتدريس والإفتاء

الفَصْلُ الخامِسُ في بَيانِ العُلومِ:

فالعِلْمُ الظّاهِرُ لَهُ اثْنا عَشَرَ فَنّاً، وكذا عِلْمُ الباطِنِ لَهُ اثْنا عَشَرَ فَنّاً، فَقُسِّمَ بَيْنَ العَوامِّ والخَواصِّ وأخَصِّ الخَواصِّ عَلى قَدْرِ الِاسْتِعْدادِ؛ فالعِلْمُ مُنْحَصِرٌ عَلى أرْبَعة أنْواعٍ:

الأولُ: ظاهِرُ الشّريعة مِنَ الأمْرِ والنَّهْيِ مِنَ الأحْكامِ.

والثّاني: باطِنُها، ويُسمّى عِلْمَ الطَّريقة.

والثّالِثُ: باطِنُ الطَّريقة، ويُسَمّى المَعْرِفة.

والرّابعُ: باطِنُ البَواطِنِ، ويُسمّى عِلْمَ الحَقيقة.

ولا بُدَّ مِنْ حُصولِ كُلِّها؛ كما قالَ النَّبيُّ ﷺ: «الشّريعة شَجَرة، والطّريقة أغْصانُها، والمَعْرِفة أوراقُها والحَقيقة أثمارُها» (٦).

في بغداد سنة ٥٢٨ هـ، وتوفي بها.له كتب، منها «الغنية لطالب طريق الحق »، و«الفتح الرباني»، و«فتوح الغيب».

يُنظر: «الأعلام» للزركلي ٤/٤٧، «موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان» ١٣/١٦١-١٦٢.

٦) لا يُروى في أيّ من كتب الحديث المعروفة! وقد ذكر العجلوني شبيهاً به في «كشف الخفا» (١٥٣٢) قال:

والثَّمَرُ جامِعٌ لجَميعِها بِالدَّلالة والإشارة تَفْسيراً وَتأويلاً. اهـ حَرْفياً [٧].

وَقالَ شَيخُ شَيْخِنا أبو الإرْشادِ الصّاوي [٨] في «شَرْحِهِ عَلى الصَّلَواتِ الدَّرْديريةِ»:

«الشريعة أقوالي، والطريقة أفعالي، والحقيقة حالي، والمعرفة رأس مالي»: لم أرَ من ذكره فضلاً عن بيان حاله، نعم ذكر بعضهم أنه رآه في كتب بعض الصوفية؛ فليُراجَعْ. ا.هـ.

٧) الكتاب المنسوب إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني اسمُه ـ على الصحيح ـ «سر الأسرار ومظهر الأنوار»، وما نقله المؤلف في الفصل الرابع ـ لا الخامس ـ منه؛ بدليل العودة إلى طبعتين من الكتاب:

الأولى: طبعة قديمة (المطبعة البهية المصرية: ١٣٧٤هـ) والنصُّ فيها ص ٢٤.

والثانية: طبعة حديثة (دار السنابل ـ دمشق. ط٣: ١٤١٥هـ/١٩٩٤) والنص فيها ص ٦٢.

٨) الشيخ أحمد بن محمد الخلوتي، الشهير بالصاوي؛ (١١٧٥ - ١٢٤١ هـ = ١٧٦١ - ١٨٢٥ م) فقيه مالكي، نسبته إلى (صاء الحجر) في إقليم الغربية بمصر. من كتبه: «بلغة السالك لأقرب المسالك» في المذهب المالكي في مجلدين، «حاشية على جوهرة التوحيد للقاني»، «الأسرار الربانية والفيوضات الرحمانية» وهي شرح الصلوات الدرديرية، و«حاشية على تفسير الجلالين»، «الفرائد السنية» شرح همزية البوصيري. توفي بالمدينة المنورة.

فائدةٌ: الفَرْقُ بَيْنَ الشَّريعة والطَّريقة والحَقيقةِ:

أمّا الشَّريعة فَهيَ الأحْكامُ الَّتي تَعَبَّدَنا بِها رَسولُ اللهِ ﷺ عَنِ اللهِ مِنْ كُلِّ ما دَلَّنا عَلَيْهِ الكِتابُ والسُّنّة مِنَ الواجِباتِ والجائِزاتِ والمَنْدوباتِ والمُحَرَّماتِ والمَكْروهاتِ.

وأمّا الطَّريقة فَهي العَمَلُ بِالواجِباتِ والمَنْدوباتِ حَسَبَ الإمْكانِ، وَتَرْكُ المَنْهياتِ والتَّخَلّي عَنْ فُضولِ المُباحاتِ. وَلَها أرْكانٌ وَشُروطٌ وآدابٌ تُطْلَبُ مِنْ كُتُبِ القَوْمِ.

وأمّا الحَقيقة فَهي ثَمَرة الطَّريقة مِنْ فَهْمِ حَقائِقِ الأشْياءِ كَشُهودِ الأسْماءِ والصِّفاتِ وَشُهودِ الذّاتِ واسْرارِ القُرْآنِ واسْرارِ المَنْعِ والجَوازِ والعُلومِ الغَيْبيةِ الَّتي لا تُكْتَسَبُ مِنْ مُعَلِّمٍ وانما تُفهَمُ عَنِ اللهِ، كَما قالَ تَعالى: ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩] ، أيْ: فَهْماً في قُلوبِكُمْ تأخُذونَهُ عَنْ رَبِّكمْ مِنْ غَيْرِ مُعَلِّمٍ.

يُنظر: «الأعلام» للزركلي ١/٢٤٦، «موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان» ٢٢/٢٠٣.

وقالَ تَعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، أيْ: بِغَيْرِ واسِطة مُعَلِّمٍ.

وَمِمّا رَواهُ الإمامُ مالِكٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَن رَسول اللهِ ﷺ: «مَنْ عَمِلَ بِما عَلِمَ ورَّثَهُ اللهُ عِلْمَ ما لَمْ يَعْلَمْ» (٩).

---

٩) لم يَروِهِ الإمامُ مالكٌ لا في «الموطّأ» ولا في غيره، ولم يردْ للإمام مالكٌ ذِكرٌ في إسنادٍ له؛ ولعله أراد أنس بن مالك. أولعل المراد بالذكر الإمامُ أحمد بن حنبل؛ إذ هو في إسناد الحديث فيما رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» بإسناده إلى يحيى بن معين قال: التقى أحمدُ بن حنبل وأحمدُ بن أبي الحواري بمكة، فقال أحمدُ بن حنبل لأحمدَ بن أبي الحواري: يا أحمدُ حدثنا بحكاية سمعتَها من أستاذك أبي سليمان الداراني! فقال: يا أحمد، قل: سبحان الله بلا عجب. فقال أحمد بن حنبل: سبحان الله . وطوّلَها . بلا عجب، فقال أحمد بن أبي الحواري: سمعت أبا سليمان يقول: إذا اعتقدتِ النفوسُ على ترك الآثام جالت في الملَكوت وعادت إلى ذلك العبد بطرائف الحكمة؛ من غير أن يؤدّيَ إليها عالِمٌ علماً.

قال: فقام أحمدُ بن حنبل ثلاثاً، وجلس ثلاثاً، وقال: ما سمعتُ في الاسلام حكايةً أعجبَ من هذه إليّ!

ثم ذكر أحمد بن حنبل، عن يزيد بن هارون، عن حميد الطويل، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال: «من عمل بما يعلم ورّثه الله علم ما لم يعلم» ثم قال لأحمد ابن أبي الحواري: صدقت. يا أحمد. وصدق شيخك.

فأفادَ بهذِهِ الكَلِماتِ الشَّريعة والطَّريقة والحَقيقة: أمّا الشَّريعة فَبِقَوْلِهِ: «عَلِمَ»، وأمّا الطَّريقة فَبِقَوْلِهِ: «عَمِلَ»، وأمّا الحَقيقة فَبِقَوْلِهِ: «ورَّثَهُ اللهُ عِلْمَ مالَمْ يَعْلَمْ».

قال الشيخ أبو نعيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ذكر أحمد بن حنبل هذا الكلام عن بعض التابعين عن عيسى بن مريم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فوهم بعض الرواة أنه ذكره عن النبي ﷺ، فوضع هذا الإسنادَ عليه؛ لسهولته وقربه، وهذا الحديث لا يُحتمل بهذا الإسناد عن أحمد بن حنبل. انتهى من «حلية الأولياء» ١٤/١٠-١٥.

وأخرج أبو نعيم في «حلية الأولياء» ٦/١٦٣، وابن عساكر في «تاريخ مدينة دمشق» ٣٧/٢٣١. كلاهما في ترجمة عبدالواحد بن زيد. قال: كان يقال: من عمل بما علم فتح الله له ما لا يعلم.

وأخرج ابن عساكر في «تاريخ مدينة دمشق» ٤٨/٤١٤ عن الفضيل بن عياض قال: من عمل بما علم استغنى عما لا يعلم، ومن عمل بما علم وفقه الله لِما لايعلم.

وأخرج ٢٩/١٤٧ عن الأوزاعيّ قال: من عمل بما يعلم كان حقاً على الله أن يعلمه ما لا يعلم، ويوفقه فيما يعمل حتى يستوجب بذلك الجنة، ومن لم يعمل بما يعلم تاه فيما لا يعلم حتى يستوجب بذلك النارَ.

وقال السيوطي في «الدر المنثور» ٣/٤٠٤: أخرج أبو يعقوب البغدادي في «كتاب رواية الكبار عن الصغار» عن سفيان قال: من عمل بما يعلم وُفّق لِما لا يعلم.

ولمّا كانَ بَحْرُ الشّريعة واسعاً جِدّاً، تَعَدَّدَتْ طُرُقُ العامِلينَ بِها، وكلُّها تُوصلُ لِلحقيقة حيثُ اسْتَوْفى المُريدُ الشُّروطَ والآدابَ، وإلّا كانَ كَحِمارِ الرَّحى غايَتُهُ مُبْتَدَؤُهُ!

قالَ السَّيِّدُ البَكْري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١٠):

ومَنْ لَمْ يَكُنْ في الشَّوْقِ والتّوْقِ صادِقاً

أحاديثُهُ بَيْنَ المُحِبّينَ لا تُرْوى (١١)

---

١٠) الشيخ مصطفى بن كمال الدين بن علي البكري الصديقي، الخلوتي، الحنفي، المصري، أبو المواهب (١٠٩٩ - ١١٦٢هـ = ١٦٨٨ - ١٧٤٩ م) متصوف، من العلماء، كثير التصانيف والرحلات والنظم. ولد في دمشق، ومات بمصر.

من كتبه «مجموع رسائل رحلاته» مخطوط في مجلد كبير أكثره بخطه، «السيوف الحداد في أعناق أهل الزندقة والإلحاد»، و«الذخيرة الماحية للآثام في الصلاة على خير الأنام»، و«المنهل العذب السائغ لوراده في ذكر صلوات الطريق وأوراده».

يُنظر: «الأعلام» للزركلي ٧/٢٣٩، «موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان» ٢٢/١٨٤-١٨٥.

١١) لم أهتدِ إليه فيما وصلتُ إليه من كتب البكري المطبوعة، والله أعلم.

انتهى من «شَرْحِ الصَّلَواتِ الدَّرْديريةِ» للصاوي [مخطوط ٦٤/أ- ب].

أخْذُ العَهْدِ

وأمّا أخْذُ العَهْدِ؛ فَما وَرَدَ فيهِ مِنَ الآياتِ فَكَثيرٌ.

قالَ تعالى: ﴿ وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٤].

وَقالَ تَعالى: ﴿ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ ﴾ [مريم: ٨٧].

وَقالَ تَعالى: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

وَقَدْ وَرَدَ أنَّ الإمامَ عَلياً رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ سألَ النَّبيَّ ﷺ عَنْ أقْرَبِ الطُّرُقِ إلى اللهِ تَعالى وأسْهلِها. فَقالَ لَهُ ﷺ: «يا عَلي، عَلَيْكَ بِمُداومة ذِكْرِ اللهِ ﷻ سِرّاً وَجَهْراً».

فَقالَ عَلي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: كُلُّ النّاسِ ذاكِرونَ اللهَ يا رَسولَ اللهِ، وانَّما أُريدُ أنْ تَخُصَّني بِشَيْءٍ.

فَقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: «مَهْ ! يا عَلي، أفْضَلُ ما قُلْتُهُ أنا والنَّبيونَ مِنْ قَبْلي: لا إلهَ إلّا اللهُ، وَلَوْ أنَّ السَّمواتِ السَّبْعَ والأرَضينَ السَّبْعَ في كِفّة ميزانٍ، وَلا إلَهَ إلّا اللهُ في كِفّة لَرَجَحَتْ بِهِنَّ لا إلَهَ إلّا اللهُ، يا عَلي لا تَقومُ السّاعة وَعَلى وَجْهِ الأرْضِ مَنْ يَقولُ: اللهَ اللهَ».

ثُمَّ قالَ عَلي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: كَيْفَ أذْكُرُ يا رَسولَ اللهِ؟

فَقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: «غَمِّضْ عَيْنَيْكَ واسْمَعْ مِنّي لا إلهَ إلّا اللهُ ثَلاثَ مَرّاتٍ. ثُمَّ قلْ أنْتَ: لا إلهَ إلّا اللهُ ثَلاثَ مَرّاتٍ وأنا أسَمعُ»، ثُمَّ رَفَعَ رَسولُ اللهِ ﷺ رأسَهُ، وَمَدَّ صَوْتَهُ وَهو مُغَمِّضٌ عَيْنَيْهِ، وَقالَ: «لا إلهَ إلّا اللهُ» ثَلاثَ مَرّاتٍ وعَلي يَسْمَعُ، ثُمَّ إنَّ عَلياً رَفَعَ رأسَهُ وَمَدَّ صَوْتَهُ وَهو مُغَمِّضٌ عَيْنَيْهِ. وَقالَ: لا إلهَ إلّا اللهُ ثَلاثَ مَرّاتٍ، والنَّبي ﷺ يَسْمَعُ [١٢]. هذا أصلُ سَنَدِ الْقَوْمِ في التَّلْقينِ.

قالَ سَيِّدي عَبْدُ القادِرِ الجيلي [نَفَعَنا اللهُ بِبَرَكاتِهِ دُنْيا وأُخْرى]:

---

١٢) قال: الشيخ محمد بن الشيخ عبد الكريم الكسنزان الحسيني في «موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان» ٢٣/٢٤١ بشأن هذا الحديث: لم أجده في كتب الحديث وقد ذكره المؤرخ الشيخ عبد الرحمن الجبرتي فقال... وعزاه إلى «تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار» ١/٣٤٥. ا.هـ.

أما عُلَماءُ الظّاهِرِ فَهُمْ أقْسامٌ، بَعْضُهُمْ بِمَنْزِلة صاحِبِ الفَرْضِ، وَبَعْضُهُمْ بِمَنْزِلة العَصَباتِ، وَبَعْضُهُمْ بِمَنْزِلة ذَوي الأرْحامِ موكَّلونَ عَلى قُشورِ العِلْمِ بِالدَّعْوى إلى سَبيلِ اللهِ بالمَوْعِظة الحَسَنة.

وأمّا الأشْياخُ المَتَسَلْسِلة سِلْسِلَتُهُمْ إلى عَلي كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ فَموكَّلونَ بِمَعَزِّ العِلْمِ، أيْ: عَلى لُبابِ العُلوم بِالدَّعوى إلى اللهِ تَعالى بِالحِكْمة والمَوْعِظة الحَسَنة؛ كما قالَ تَعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ [النحل: ١٢٥].

وأقْواهُمْ في الأصْلِ واحِدة، وَفي النَّوْعِ تَخْتَلِفُ؛ قالَ تَعالى: ﴿ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [البقرة: ٢٦٩]. اهـ بِتَمامِهِ مِنْ «أسرارِ الأسْرارِ» (١٣).

فَشَتّانَ بَيْنَ الدّاعي بالحِكْمة الفاضِلة مِنْ عِلْمِ القُرْبة المُتَحَصَّلة بالتَّلْقينِ مِنْ عارِفٍ عَنْ عارِفٍ إلى عَلِيٍّ الَّذي هو بابُ مَدينة العِلْمِ (١٤)، وَبَيْنَ الدّاعي بِالمَوْعِظة الحَسَنة.

---

١٣) «أسرارِ الأسْرارِ» ص ٧٢-٧٣ باختلافٍ يسير واختصار بسيط.

وَمِثالُ ذَلِكَ:

---

١٤) روى الترمذي في «جامعه»: كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ: باب: برقم (٣٧٢٣) عن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا دار الحكمة و عليٌّ بابها».ثم قال: هذا حديث غريب منكر، وروى بعضُهم هذا الحديثَ عن شريك ولم يذكروا فيه عن الصنابحي، ولا نعرف هذا الحديث عن شريك، ولم يذكروا فيه عن الصنابحي، ولا نعرف هذا الحديث عن واحد من الثقات عن شريك، وفي الباب عن ابن عباس.

وحديث ابن عباس أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١٠٦١)، والحاكم في «المستدرك» (٤٦٣٧) (٤٦٣٨) وغيرهما عن ابن عباس مرفوعاً، وقال الحاكم:صحيح الإسناد وأبو الصلت ثقة مأمون. وقال الذهبي : بل موضوع.

وقال العجلوني في «كشف الخفا» برقم (٦١٨): هذا حديث مضطرب غير ثابت كما قاله الدارقطني في «العلل»، وقال الترمذي: منكر، وقال البخاري: ليس له وجه صحيح، ونقل الخطيب البغدادي عن يحيى ابن معين أنه قال: إنه كذب لا أصل له.وقال الحاكم في الحديث الأول: إنه صحيح الإسناد لكن ذكره ابن الجوزي بوجهيه في الموضوعات، ووافقه الذهبي وغيره وقال أبو زرعة: كم خلق افتضحوا فيه ؟! وقال أبو حاتم ويحيى بن سعيد: لا أصل له.

وذكر أقوالاً لبعض من حسّنوا الحديثَ بما لا يتسع المجال لبسطه ولا مناقشته، والله أعلم.

أَنَّ مَلِكاً اخْتارَ لِنَفْسِهِ خَدَماً فَجَعَلَ هَؤُلاءِ الخَدَمِ قِسْمَيْنِ، فَقِسْمٌ اخْتارَهُ لِمُنادَمَتِهِ وَمُجالسَتِهِ، وَقِسْمٌ اخْتارَهُ لِلْقيامِ بِوَظائِفِ أَحْكامِهِ.

فَبَعيدٌ أَنَّ الَّذي هو مُقامٌ لِوَظائِفِ الأَحْكامِ أَنْ يُماثِلَ مَنْ هو واقِفٌ عَلى أَقْدامِ المُنادَمة والمُشاهَدة لِتِلْكَ الذّاتِ، وَلا يَخفى عَلى مَنْ عِنْدَهُ أَدْنى تأَمُّلٍ. اهـ.

قالَ سَيِّدي عَبْدُ العَزيزِ الدَّبّاغُ . قُدِّسَتْ أَسْرارُهُ .[١٥] حاكياً حالَ طَلَبة العِلْمِ الظّاهِري:

وَتَرى الطّالِبَ يُسافِرُ مِنْ قُطْرٍ إلى قطْرٍ ليحَصِّلَ العِلْمَ بِنيةِ أَنْ يُدْرِكَ الجاهَ والكلِمة النّافِذة أو الدُّنيا أو غَيْرَ ذلِكَ مِنَ الأَغْراضِ الباطِلة، وَيَبْقى عَلى هَذِهِ النّيةِ السِّنينَ المُتَطاولة، فَيحْرِمَهُ اللهُ تَعالى مِنْ نورِ العِلْمِ،

---

١٥) الشيخ عبد العزيز بن مسعود بن أحمد بن محمد بن محمد (١٠٩٥ - ١١٣٢ هـ = ١٦٨٤ - ١٧٢٠ م) أبو فارس، الدباغ: متصوف من الأشراف الحسنيين. أحد أئمة الأولياء ومشاهير الأصفياء، مولده ووفاته بفاس، كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، ولأتباعه مبالغة في الثناء عليه ونقل الخوارق عنه، وصنف أحمد بن مبارك اللمطي كتاب «الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز» في شمائله وما دار بينهما من محاورات، في جزأين.

يُنظر: «الأعلام» للزركلي ٤/٢٨، «موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان» ٢٢/٢٧٩-٢٨٠

فَلا يَكونُ مِنَ الرّاسِخينَ فيهِ أبَداً؛ لِأنَّه لا يُدْرِكُ حَقيقة العِلْمِ إلّا مَنْ تَوَجَّهَ إلَيْهِ بِباطِنِهِ، وَباطِنُ هذا مَعْمورٌ بأغْراضِهِ وَشَواغِلِهِ، والَّذي يَتَحَرَّكُ في العِلْمِ مِنْهُ هو ظاهِرُهُ فَقَطْ، والعِلْمُ سِرٌّ مِنْ أسْرارِ اللهِ فَلا يدْرِكُهُ الظّاهِرُ أبَداً. اهـ. حَرْفياً مِنَ الإبْريز [١٦].

فَحينَئِذٍ مَنْ لَمْ يَدْخُلْ في طَريقِ القَوْمِ بِالتَّلْقينِ لَمْ يَكُنْ مُتَحَقِّقاً، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ مُتَحَقِّقاً لَمْ يَكُنْ مُخْلِصاً؛ لِأنَّ الصِّفاتِ البَشَريةَ لا تَفْنى إلّا بِتَجَلّي الذّاتِ كَما يُسْتَفادُ مِنْ كُتُبِ القَوْمِ.

---

١٦) «الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز» ص ٢٤٩.

فَوائِدُ التَّلْقينِ

وَمِنْ فَوائِدِ التَّلْقينِ: ارْتِباطُ القُلوبِ بَعْضِها بِبَعْضٍ إلى رَسولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ إلى اللهِ ﷻ.

وأقَلُّ ما يَحْصُلُ لِلْمُريدِ الصّادِقِ إذا دَخَلَ سِلسِلةَ القَوْمِ بِالتَّلْقينِ أنْ يَكونَ إذا حَرَّكَ حَلْقة نَفسِهِ تُجاوبُهُ السِّلسِلة، أعني: أرْواحَ الأولياءِ مِنْ شَيْخِهِ إلى رَسولِ اللهِ ﷺ إلى رَبِّهِ ﷻ.

وَمَنْ لمْ يدْخُلْ في طَريقِهِمْ بِالتَّلْقينِ فَهو غَيْرُ مَعدودٍ منْهُمْ، واذا تَحَرَّكَ لَمْ يُجِبْهُ أحَدٌ.

وَيُعْلَمُ مِنْ هذا أنَّ أشْياخَ الإنسانِ آباؤُهُ في الدّينِ، وَوُصْلةٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّ العالَمينَ. فَمنْ لا شَيْخَ لَهُ فَشَيْخُهُ الشَّيْطانُ، وهو واقِعٌ في بَحْرِ الهَلاكِ والخِذْلانِ؛ إذْ مَنْ لا أبَ لَهُ فَهْوَ لَقيطٌ، وأفْعالُهُ تَخْبيطٌ وَتَخْليطٌ، ومَنْ لا شَيْخَ لَهُ فَهْوَ مَقْطوعٌ، وَعَنْ طَريقِ الوُصولِ مَمْنوعٌ، ومَنْ لا شَيْخَ لَهُ فَهْوَ سَفيهٌ، وأفْعالُهُ كُلُّها تَسْويفٌ وَتَمْويهٌ. وَحَسْبُكَ ما قالَهُ تَعالى:

﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾ [الكهف: ١٧].

فانْهَضْ بِهِمَّتِكَ في طَرِيقِ اللهِ، وَلا تَلْتَفِتْ إلى مَنْ يَعْتَرِضُ عَلَيْهِمْ.

قالَ سَيِّدُ الطّائِفَتَيْنِ الجُنَيْدُ أبو القاسِمِ. مَنَحْنا اللهُ رِضاهُ.(١٧):

لا يَبْلُغُ الرَّجُلُ عِنْدَنا مَبْلَغَ الرِّجالِ حتّى يَشْهَدَ فيهِ ألفُ صِدّيقٍ مِنْ عُلَماءِ الرُّسومِ بِأنَّهُ زِنْديقٌ (١٨).

---

١٧) سيد الطائفة إمام الدنيا في زمانه الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي الخزاز(... – ٢٩٧ هـ = ... – ٩١٠ م)، أبو القاسم: صوفي، من العلماء بالدين.مولده ومنشأه ووفاته ببغداد.وهو أول من تكلم في علم التوحيد ببغداد.

ضبط مذهبه بقواعد الكتاب والسنة، وصانه من العقائد الذميمة، محمي الأساس من شُبه الغلاة، سالماً من كل ما يوجب اعتراض الشرع. من كلامه: طريقنا مضبوط بالكتاب والسنة، من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث ولم يتفقه لا يقتدى به.

له «رسائل» منها ما كتبه إلى بعض إخوانه، ومنها ما هو في التوحيد والالوهية، والغناء، ومسائل أخرى، و«دواء الأرواح».

يُنظر: «الأعلام» للزركلي ٢/١٤١، «موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان» ٢٢/٢٣١-٢٣٤.

١٨) لم يُروَ هذا القول عن الجنيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أيٍّ من الكتب التي ترجمت له؛ إلا أنه مذكورٌ في بعض كتب الصوفية منسوباً إليه بلا أسانيدَ؛ من ذلك أنه نسبه إليه الشيخُ الأكبر في

وَذلِك لِأنَّ أحْوالَهُمْ مِنْ وَراءِ العَقْلِ والنَّقْلِ ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ﴾ [يوسف: ٧٦].

وَمِنْ قَوْلِ ابْنِ الفارِضِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ [١٩]:

وَلا تَكُ مِمَّنْ طَيَّشَتْهُ دُروسُهُ بِحَيْثُ اسْتَقَلَّتْ عَقْلَهُ فاسْتَقَرَّتِ

فَثَمَّ وَراءَ العَقْلِ عِلْمٌ يَدِقُّ عَنْ مَدارِكِ غاياتِ العُقولِ السَّليمة [٢٠]

«الفتوحات المكية» ٣/٢٤٧-٢٤٨ ولفظه: «لا يبلغ أحد درج الحقيقة حتى يشهد فيه ألف صديق بأنه زنديق وذلك لأنهم يعلمون من الله ما لا يعلمه غيرهم». ا.هـ .

١٩) عمر بن علي بن مرشد بن علي الحموي الأصل، المصري المولد والدار والوفاة، أبو حفص وأبو القاسم، شرف الدين ابن الفارض، (٥٧٦ - ٦٣٢ هـ = ١١٨١ - ١٢٣٥ م)، أشعر المتصوفين، وسلطان العاشقين، اشتغل بفقه الشافعية في شبابه وأخذ الحديث عن ابن عساكر، وأخذ عنه الحافظ المنذري وغيره، ثم سلك طريق الصوفية، فتزهد وتجرد، وجعل يأوي إلى المساجد المهجورة في خرابات القرافة بالقاهرة وأطراف جبل المقطم. وذهب إلى مكة في غير أشهر الحج، فكان يصلي بالحرم، ويكثر العزلة في وادٍ بعيد عن مكة، وفي تلك الحال نظم أكثر شعره، وعاد إلى مصر بعد خمسة عشر عاماً، وقصده الناس بالزيارة، توفي سنة (٦٣٢هـ).

يُنظر: «الأعلام» للزركلي ٥/٥٥، «موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان» ٢٣/٤٢-٤٣.

٢٠) «ديوان ابن الفارض» ص ٧٦.

صِفاتُ الشَّيْخِ المُرْشِدِ

وأمّا مَعْرِفَةُ الشَّيْخِ المُرْشِدِ، فَقالَ الأُسْتاذُ المُنيرُ [٢١] في رِسالَتِهِ المُسَمّاةِ بـ«تُحْفة السّالِكينَ»:

يُشْتَرَط ـ أيْ: في الشَّيْخِ ـ أنْ يَكونَ لَهُ عَقْلٌ يَدُلُّ بِهِ إلى الهِداية، وَعِلْمٌ يُرْشِدُ بِهِ المَهْديينَ لِأمْرِ دينِهِمْ وإنْ لَمْ يَكُنْ مُتَبَحِّراً، بَلْ يَكونُ لَهُ اطِّلاعٌ بِقَدْرِ ما يُزيلُ بِهِ الشُّبْهة الّتي تَعْرِضُ لِلْمُريدينَ في البِداية؛ ليُغْنيَ مُريدَهُ عَنْ سُؤالِ غَيْرِهِ، عالِماً بِكُلِّ ما يُرَقّي المُريدينَ وَبِكُلِّ ما يَقْطَعُهُمْ عَنِ

---

٢١) الشيخ محمد بن الحسن بن محمد بن أحمد السمنودي الأحمدي المنير (١٠٩٩ – ١١٩٩هـ = ١٦٨٨ – ١٧٨٥ م).

فقيه شافعي، كان أول من انتزع مشيخة (الأزهر) من يد المالكية. محدث مقرئ صوفي خلوتي الطريقة. من كتبه: «تحفة السالكين» في التصوف، «الدرر الجسام في شروط المأموم والإمام»، «فتح المجيد في قراءة عاصم من طريق القصيدة الشاطبية»، الآداب السنية والأفعال الشريفة المرضية القدسية لمن يريد طريق السادة الخلوتية».

يُنظر: «الأعلام» للزركلي ٦/٩٢، «موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان» ٢٣/٧١.

التَّرَقّي في سائِرِ الأحْوالِ والأعْمالِ. فإذا مَرِضَ مُريدُهُ داواهُ، واذا حَنِثَ أفْتاهُ، لَهُ افْتِقارٌ يَنْفي بِهِ الاقْتِدارَ، وَصَفاءٌ يُصَفّيهِ منَ الأكْدارِ، وأدَبٌ يُجْلِسُهُ مَعَ الجَبّارِ، وَقَناعة تورِثُهُ الغِنى، وَخَوْفٌ يَحْجُزُهُ عَنِ المَعاصي، وَرَجاءٌ يُسارِعُ بِه إلى الخَيْراتِ، وَحُسْنُ خُلُقٍ يَدْفَعُ بِهِ الحَمَقَ، وَشَفَقة تورِثُهُ الرِّفْقَ. اهـ[٢٢].

أقولُ . مُسْتَمِدّاً مِنَ اللهِ العَوْنَ تَقْدِمة كَلِمَتَيْنِ مِنْ كَلامِ بَعْضِ العارِفينَ حَسْبَما ألهَمَني اللهُ تَعالى:

لَيْسَ شَيْخكَ مَنْ لِلْعهْدِ أعْطاكَ،

إنّما شَيْخُكَ مَنْ في بَحْرِ الهِداية ألقاكَ.

لَيْسَ شَيْخكَ مَنْ لا يَنْفَعكَ وَعْظُهُ،

إنّما شَيْخُكَ مَنْ وَفَّقَكَ لَحْظُهُ.

لَيْسَ شَيْخكَ مَنْ بِالصّيتِ اشْتَهَر،

إنّما شَيْخُكَ مَنْ عَدّاكَ الخَطَر.

لَيْسَ شَيْخكَ مَنْ ظَهَرَتْ كَراماتُهُ،

---

٢٢) «تحفة السالكين ودلالة السائرين لمنهج المقربين في الطريق» ص ٥٧-٥٨.

إنّما شَيْخُكَ مَنْ غَمَرَتْكَ بَرَكاتُهُ.

لَيْسَ شَيْخكَ مَنْ قالَ: أنا،

إنّما شَيْخُكَ مَنْ أنْقذَكَ مِنَ العنا.

لَيْسَ شَيْخكَ مَنْ سَطا عَلَيْكَ بِاللَّوْمِ،

إنّما شَيْخُكَ مَنْ سِرُّهُ الحَقَكَ بِالقوْمِ.

لَيْسَ شَيْخكَ مَنْ أوقَفَكَ عَلى الباب،

إنّما شَيْخُكَ مَنْ كَشَفَ لَكَ الحِجاب.

لَيْسَ شَيْخكَ مَنْ يَقولُ: أنا شَيْخُكَ،

إنّما شَيْخُكَ مَنْ يَقولُ: ها أنْتَ وَرَبُّك.

آدابُ المُرِيدِ مَعَ الشَّيْخِ

وأمّا آدابُ المُرِيدِ مَعَ الشَّيْخِ فَكَثِيرة في كُتُبِ القَوْمِ [٢٣]، مَنْ أرادَها فَلْيَطْلُبْها مِنْ مَحَلّاتِها، وَمُلخَّصُها:

تَسْليمُ قيادِهِ إليْهِ، وَسَلْبُ إرادَتِهِ لَهُ، واعْتِقادُهُ أنْ لا مُرشِدَ لَهُ لِرُشْدِهِ سِواهُ قَطُّ عَلى وَجْهِ الأرْضِ.

وأنْ يَعْتَقِدَ أنّهُ مُطَّلِعٌ عَلى جَميعِ حالاتِهِ الظّاهِرة والباطِنة.

وأنْ يُحْضِرَهُ وَيُشَخِّصَهُ بَيْنَ عينَيْهِ حالة الذِّكْرِ ليكونَ رَفيقَهُ في السَّيْرِ إلى اللهِ تَعالى.

وانْ يَعْتَقِدَ أنَّ كُلَّ نِعْمةٍ عَلَيْهِ مِنْ خَيْراتِ الدُّنْيا والآخِرة فَمِنْ بَركَتِهِ.

---

٢٣) من ذلك على سبيل المثال:

«الرسالة القشيرية» ص ٤٢٤- ٤٣١، و«إيقاظ الهمم في شرح الهمم» لابن عجيبة ص ١٧٥-١٧٧.

وأنْ لا يَذْكُرَهُ عِنْدَ الحاجة لِذِكْرِ اسمِهِ.

وأنْ يُسَمّي الطَّريقة بِاسْمِهِ.

وَنِهاية ذلِكَ: أنْ يَكونَ بَيْنَ يَدَيْهِ كالمَيِّتِ بَيْنَ يَدَيِ الغاسِلِ، أو كالرّيشة المُعَلَّقة في الهَواءِ، فإنْ غابَ الشَّيْخُ فأمَّرَ مَقامَهُ الماذونَ أعني النّائِبُ عَنِ الشَّيْخِ.

فَصْلٌ

وَلِلشَّيْخِ العارِفِ إمْداداتٌ رَبّانيّة، وَنَفَحاتٌ صَمَدانيةٌ، لا يَطَّلِعُ عَلَيْها أحَدٌ.

وَقَدْ قيلَ: إنَّ مَعْرِفة اللهِ تَعالى أقْرَبُ مِنْ مَعْرِفة الشَّيْخِ، فَهُمْ عَرائِسُ اللهِ، وَلا يَطَّلِعُ وَلا يَنْكَشِفُ عَلى العَرائِسِ إلّا مَحْرَمُهُمْ، وإيّاكَ أنْ تَعْتَرِضَ الأشياخَ فانَّهُمْ داعونَ إلى اللهِ تَعالى بِمَعَزِّ العِلْمِ.

قالَ شَيْخُ شَيخِنا أبو الإرشادِ سَيِّدي العارِفُ بِاللهِ تَعالى الصّاويُّ أيْضاً في «شَرْحِهِ عَلى الصَّلَواتِ» عِنْدَ قَوْلِهِ: «وانْشُرْ طَريقَتَنا في سائِرِ البِلادِ»: أيْ: ليكثُرَ السّالِكونَ ويَعُمَّ الهُدى؛ لِما في الحَديثِ الشَّريفِ: «لأنْ يَهْديَ اللهُ بِكَ رَجُلاً واحِداً خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ» (٢٤).

---

٢٤) أخرجه البخاري في «صحيحه»: كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ: باب مناقب علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبي الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: برقم (٣٧٠١) من حديث سهل بن سعد الساعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً.

وَقَوْلِهِ تَعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [فصلت: ٣٣].

وَقالَ ﷺ: «الدّالُّ عَلى الخَيْرِ كَفاعِلِهِ» (٢٥).

وَقالَ ﷺ: «مَنْ سَنَّ سُنّة حَسَنة، فَلَهُ أجْرُها وأجرُ مَنْ عَمِلَ بِها إلى يَوْمِ القيامة» (٢٦).

وأخرجه مسلم في «صحيحه»: فضائل الصحابة: باب من فضائل علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: برقم (٦٢٢٣).

٢٥) أخرجه الترمذي في «جامعه»: كتاب العلم عن رسول الله ﷺ: باب ماجاء الدال على الخير كفاعله: برقم (٢٦٧٠) من حديث أنس بن مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً.

٢٦) أخرجه مسلم في «صحيحه»: العلم: باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة: برقم (٢٣٥١) من حديث جرير بن عبد الله البجلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً، ولفظه: «من سنّ في الإسلام سنةً حسنةً...» الحديثَ.

وأخرج حديث جريرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هذا الترمذيُّ في «جامعه»: كتاب العلم عن رسول الله ﷺ: باب ما جاء فيمن دعا إلى هدى فاتبع أو إلى ضلالة: برقم (٢٦٧٥)، وقال: هذا حديث حسن صحيح

وأخرجه النسائي في «المجتبى»: كتاب الزكاة: باب التحريض على الصدقة:برقم (٢٥٥٥).

وَفي الحَديثِ: «أوحى اللهُ إلى داودَ: يا داودُ مَنْ رَدَّ إليَّ هارِباً كَتَبْتُهُ جِهْبَذاً، وَمَنْ كَتَبْتُهُ جِهْبَذاً لَمْ أُعَذِّبْهُ أبَداً». اهـ (٢٧).

والجِهْبَذُ ـ بِالكَسْرِ: النَّقّادُ الخَبيرُ بِغَوامِضِ الأُمورِ البارِعُ العارِفُ بِطَريقِ النَّقْدِ (٢٨).

وَقالَ تَعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٩]، فالدّالُّ عَلى اللهِ هو الخَبيرُ.

وَقَدْ قالَ العارِفونَ: لَيْسَ الرَّجُلُ مُنْ كَمُلَ في نَفْسِهِ بَلْ مَنْ كَمُلَ بِهِ غَيْرُهُ، وَلا مَنْ زالَ عَنْهُ الخَوْفُ في نَفْسِهِ وَلَكِنْ مَنْ زالَ بِهِ الخَوْفُ مِنْ

وأخرجه ابن ماجه في «سننه»: المقدمة: باب من سن سنة حسنة أو سيئة: برقم (٢٠٣).

٢٧) ذكره أبو طالب المكي في «قوت القلوب» ١/٢٤٤، والغزالي في «إحياء علوم الدين» ١/١٠١، ولم ينسباه إلى سيدنا رسول الله ﷺ.

٢٨) يُنظر: «تاج العروس» للزبيدي (جهبذ) ٩/٣٩١.

غَيْرِهِ، وَفِي الحَقيقة الدّالُّ عَلى اللهِ تَعالى هو الوارِثُ الدّاخِلُ في قَوْلِهِ ﷺ: «العُلَماءُ وَرَثة الأنْبياءِ» (٢٩).

فاذا لَمْ يَكُنِ العالِمُ دالاً فَقَدْ وَرَدَ فيهِ وَعيدٌ عَظيمٌ، مِنْهُ ما ذَكَرَهُ الغَزالي (٣٠) أنَّ اللهَ أوحى إلى داودَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يا داودُ، إنَّ أدْنى ما أصْنَعُ بِالعالِمِ

---

٢٩) ذكره البخاري معلقاً في «صحيحه»: كتاب العلم: باب العلم قبل القول والعمل ص ١٦.

وأخرجه ضمن حديثٍ طويلٍ أحمد في «مسنده» برقم (٢١٧١٥).

وأبو داود في «سننه»: العلم: باب الحث على طلب العلم: برقم (٣٦٤١).

والترمذي في «جامعه»: كتاب العلم عن رسول الله ﷺ: باب ما جاء في فضل الفقة على العبادة: برقم (٢٦٨٢).

وابن ماجه في «سننه»: المقدمة: باب فضل العلماء والحث على طلب العلم: برقم (٢٢٣) كلُّهم من حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً في حديثٍ طويل.

٣٠) الإمام محمد بن محمد بن محمد الغزالي الشافعي، أبو حامد، (٤٥٠ - ٥٠٥ هـ = ١٠٥٨ - ١١١١ م) حجة الإسلام، برعَ في الفقه والأصول وعلم الكلام والفلسفة، درّس في نظامية بغداد ثم عزف عن الدنيا وتصوّف، وجال في البلدان ثم عاد إلى بلده طوس وتوفي فيها سنة (٥٠٥هـ). له: «إحياء علوم الدين»، «المنقذ من الضلال»، «تهافت الفلاسفة»، وكثيرٌ غيرها.

إذا آثَرَ شَهْوَتَهُ عَلى مَحَبَّتي أنْ أُحْرِمَهُ لَذيذَ مُناجاتي؛ يا داودُ، لا تَسْأل عَنّي عالِماً أسْكَرَتْهُ الدُّنْيا فَيَصُدَّكَ عَنْ طَريقِ مَحَبَّتي، أولئِكَ قُطّاعُ الطَّريقِ عَلى عِبادي. اهـ بِالحَرْفِ الواحِدِ [٣١]. وَفي بَيانِ فَضْلِ الشَّيْخِ بِهذا القَدْرِ كِفاية.

يُنظر: «الأعلام» للزركلي ٢٢/٧-٢٣، «موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان» ٢٢/١٣٧-١٣٨.

٣١) «إحياء علوم الدين» ١/١٠١.

آدابُ المُريدِ مَعَ إخْوانِهِ

وأمّا آدابُ المُريدِ مَعَ إخْوانِهِ فَكَثيرة:

مُلَخَّصُ ذَلِكَ: أنْ يُنَزِّلَهُمْ مَنْزِلة إخْوَتِهِ الصُّلْبيّة، بَلْ أعْظَمَ بِحَيْثُ يُقَدِّمُ مَصالِحَهُمْ عَلى مَصالِحِه الذّاتيّة باللِّسانِ والجَنانِ؛ أيْ: بالظّاهِرِ والباطِنِ، وَفي ذَلِكَ ثَمَراتٌ كُلّيةٌ.

قالَ تَعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠].

وَقالَ تَعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾ [المائدة: ٢].

وقالَ تَعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وَقالَ ﷺ «ما تَحابَّ اثْنانِ في اللهِ تَعالى إلّا كانَ أفْضَلُهما أشَدَّهُما حُبّاً لِصاحِبِهِ» (٣٢).

وَقالَ ﷺ: «والَّذي نَفْسي بيدِهِ، لا تَدْخُلوا الجَنّة حَتّى تُؤْمِنوا، وَلا تُؤْمِنوا حَتّى تَحابّوا، أولا أدُلُّكُمْ عَلى شَيْءٍ إذا فَعَلْتُموهُ تَحابَبْتُمْ؟ أفْشوا السَّلامَ بَيْنَكُمْ». رَواهُ مُسْلِمٌ (٣٣).

---

٣٢) أخرجه ابن حبان في «صحيحه»: كتاب البر والإحسان: باب الصحبة والمجالسة: ذكر البيان بأن من كان أحب لأخيه المسلم كان أفضل: برقم (٥٦٦) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأخرجه كذلك البخاري في «الأدب المفرد»:باب إذا أحب الرجل أخاه فليعلمه: برقم (٥٤٤).

وأخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط»: باب من اسمه إبراهيم: برقم (٢٨٩٩).

وأخرجه أبو يعلى في «مسنده»: مسند أنس بن مالك: ثابت البناني عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: برقم (٣٤١٩).

وأخرجه البزار في «مسنده»: مسند أبي حمزة أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: برقم (٦٨٦٩).

٣٣) أخرجه مسلم في «صحيحه»: الإيمان: باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون وأن محبة المؤمنين من الإيمان وأن إفشاء السلام سبب لحصولها: برقم (١٩٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَعَنْ مُعاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٣٤) أَنَّهُ قالَ: سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ ﷺ يَقولُ: «قالَ اللهُ تَعالى: وَجَبَتْ مَحَبَّتي لِلْمُتَحابّينَ فِيّ، والمُتَجالِسينَ فِيّ، والمُتَزاورينَ فِيّ، والمُتَباذِلينَ فِيّ» (٣٥).

وأخرجه أبو داود في «سننه»: الأدب: باب فى إفشاء السلام : برقم (٥١٩٣).

والترمذي في «جامعه»: كتاب الاستئذان عن رسول الله ﷺ: باب ما جاء في إفشاء السلام :برقم (٢٦٨٨).

وابن ماجه في «سننه»: المقدمة: باب في الإيمان: برقم (٦٨).

٣٤) معاذ بن جبل بن عمرو الخزرجي الأنصاري، أبو عبد الرحمن، (٢٠ ق ه- ١٨ه= ٦٠٣- ٦٣٩م)، شهد العقبة في الأنصار السبعين، أحد الستة الذين جمعوا القرآن على عهد النبي ﷺ، وأعلم الأمة بالحلال والحرام، شهد المشاهد كلَّها مع رسول الله ﷺ، وأرسله قاضياً ومعلماً لأهل اليمن، فبقى حتى ولي أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فعاد إلى المدينة، خرج في فتوح الشام فمات في الأردن. يُنظر: «الإصابة في تمييز الصحابة»: برقم (٨٠٣٢)، و«الأعلام» ٧/٢٥٨.

٣٥) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» برقم (٢٢٠٣٠).

وأخرجه ابن حبان في «صحيحه»: كتاب البر والإحسان: باب الصحبة والمجالسة: ذكر إيجاب محبة الله جل وعلا للمتجالسين فيه والمتزاورين فيه: برقم (٥٧٥).

وأخرجه الحاكم في «المستدرك»: كتاب البر والصلة: برقم (٧٣١٤)، وقال: هذا حديثٌ صحيحُ الإسناد على شرط الشيخين و لم يُخرجاه، ووافقه الذهبي.

وَقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ أرادَ اللهُ بِهِ خَيْراً رَزَقَهُ خَليلاً صالِحاً إنْ نَسي ذَكَّرَهُ، وإنْ ذَكَرَ أعانَهُ» (٣٦).

وَقالَ ﷺ: «مَنْ آخى أخاً في اللهِ رَفَعَهُ اللهُ دَرَجة في الجَنّة لا يَنالَها بِشْيءٍ مِنْ عَمَلِهِ» (٣٧).

---

٣٦) ذكره أبو طالب المكي في «قوت القلوب» ٢/٣٦٠، والغزالي في «إحياء علوم الدين» ٢/٢٤٦ بهذا اللفظ.

وقال الزين العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» [بهامشه]: حديث «من أراد الله به خيراً رزقه أخاً صالحاً إنْ نَسي ذَكَّرَهُ، وإنْ ذَكَرَ أعانَهُ» غريبٌ بهذا اللفظ، والمعروف أن ذلك في الأمير. رواه أبو داود [برقم (٢٩٣٢)] من حديث عائشة: «إذا أراد الله بالأمير خيراً جعل له وزير صدق إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه...» الحديثَ ضعّفه ابن عديّ، ولأبي عبد الرحمن السلمي في آداب الصحبة من حديث علي «من سعادة المرء أن يكون إخوانه صالحين» ا.هـ.

وذكره التاج السبكي في فصل جمع فيه جميع ما في كتاب الإحياء من الأحاديث التي لم يجد لها إسناداً في ترجمة الإمام الغزالي في «طبقات الشافعية الكبرى» ٦/ ٣١٥.

٣٧) ذكره أبو طالب المكي في «قوت القلوب» ٢/٣٦٠ والغزالي في «إحياء علوم الدين» ٢/٢٤٦ بهذا اللفظ.

وقال الزين العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» [بهامشه]: حديث «من آخى أخا في الله ﷻ رفعه الله درجة في الجنة لا ينالها بشيء من عمله» أخرجه ابن أبي الدنيا في «كتاب

وَقالَ أبو موسى الأشْعَري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ[٣٨]: أقْبَلَ رَسولُ اللهِ ﷺ عَلى النّاسِ بِوَجْهِهِ لَمّا قَضى صلاتَهُ، فَقالَ: «أيُّها النّاسُ، اسْمَعوا واعْقِلوا

الإخوان» من حديث أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ما أحدث عبد أخا في الله إلا أحدث الله له درجة في الجنة». وإسناده ضعيف. ا.هـ.

وقد أخرجه ابن أبي الدنيا في «الإخوان» برقم (٢٦) بلفظ: «ما أحدث رجل أخا في الله ﷻ إلا بنى الله له بيتا في الجنة».

وذكره التاج السبكي في فصل جمع فيه جميع ما في كتاب الإحياء من الأحاديث التي لم يجد لها إسناداً في ترجمة الإمام الغزالي في «طبقات الشافعية الكبرى» ٦/ ٣١٥.

٣٨) كذا، والصواب أنه أبو مالك الأشعري راوي الحديث المذكور, قال الإمام النووي في «شرح صحيح مسلم» ١/ ٤٠٣:

أما أبو مالك فاختلف في اسمه؛ فقيل: الحارث، وقيل: عبيد، وقيل: كعب بن عاصم، وقيل: عمرو، وهو معدود في الشاميين. ا.هـ.

وقد ترجم الحافظ ابن حجر في «الإصابة في تمييز الصحابة»: الكنى: ٧/١٦٥ لثلاثة كنية كل منهم «أبو مالك الأشعري» فرّق بينهم، فقال:

(٩٨٧) - أبو مالك الأشعري: الحارث بن الحارث، مشهور باسمه وكنيته معاً.

(٩٨٨) - أبو مالك الأشعري: كعب بن عاصم، مشهور باسمه، وربما كُني. تقدّما في الأسماء. قال البغوي: يقال له: أبو مالك.

(٩٨٩) - أبو مالك الأشعري: آخر مشهور بكنيته، مختلف في اسمه قيل: اسمه عمرو، وقيل: عبيد، قال سعيد البرذعي: سمعت أبا بكر بن أبي شيبة يقول: أبو مالك

واعْلَموا أنّ للهِ عِباداً لَيْسوا بِأنْبياءَ، وَلا شُهَداءَ، تَغْبِطُهُمُ الأنْبياءُ والشُّهَداءُ عَلى مَنازِلِهِمْ وَقُرْبِهِمْ مِنَ اللهِ تَعالى».

[فجاء رجلٌ من الأعراب من قاصية الناس وألوى بيده إلى نبي الله ﷺ فقال: يا نبيَّ الله، ناسٌ من الناس، ليسوا بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء على مجالسهم وقربهم من الله؟ انعَتْهُم لنا. يعني: صِفْهُم لنا.، فسُر وجهُ رسول الله ﷺ لسؤال الأعرابي فقال رسول الله ﷺ] (٣٩):

«هُمْ ناسٌ مِنْ أبْناءِ النّاسِ وَنُزّاعُ القَبائِلِ لَمْ تَصِلْ بَيْنَهُمْ أرْحامٌ مُتَقارِبة، تَحابّوا في اللهِ وَتَصافَوْا فيه، يَضَعُ اللهُ لَهُم يَوْمَ القيامة مَنابِرَ مِنْ نورٍ، فَيَحْمِلُهُمْ عَلَيْها، فَيَجْعَلُ وُجوهَهُمْ نوراً، وَثيابَهُمْ نوراً؛ يَفْزَعُ

الأشعري اسمه عمرو. رواه الحاكم أبو أحمد، وزاد غيره: هو عمرو بن الحارث ابن هانئ، وقال غيره: هو الذي روى عنه عبد الرحمن بن غنم حديث المعازف.

٣٩) كان في السياق في الأصل محرّفاً مبتوراً لفظه: «إثْقُهُمْ لَنا مَنْعُهُمْ لَنا حِلُّهُمْ لَنا،فَقالَ أعْرابي: مَنْ هُمْ يا رسولَ اللهِ؟ فَسُرَّ النَّبي ﷺ بِسُؤالِ الأعْرابي. فَقالَ»... وأثبتُّ ما في «مسند الإمام أحمد».

النّاسُ وَهُمْ لا يَفْزَعونَ، وَهُمْ أولياءُ اللهِ الَّذينَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنونَ». اهـ (٤٠).

فَحَسْبُكَ. أيُّها الأخُ الصّادِقُ. ما ذُكِرَ مِنَ الأحاديثِ الشَّريفة الّتي هي عَيْنُ طَريقة القَصْدِ، وَمَعَ ذلِكَ إذا تامَّلَ المُعتَرِضُ عَرَفَ المَنْزِلة والقَدْرَ إلّا أنّهُ ضاعَ الدّينُ بَيْنَ الحَياءِ والكِبْرِ، وَعَدمُ الاعْتِقادِ مُؤَدٍّ إلى أنَّ الشّخصَ لَوْ راى الحقَّ أسْطَعَ مِنَ الشّمْسِ فَلا يَنْقادُ، فإنْ لَمْ يَقْنَعِ المُعْتَرِضُ بِذلِك كُلّهِ أقولُ لَهُ اعْلَمْ أنّ الكِبْرَ داءٌ عُضالٌ، وَمَرَضٌ قَتّالٌ؛ قالَ تَعالى: ﴿وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة: ٣٤].

وأقَلُّ ما يُهَيِّجُ عَلى صاحبِهِ أرْبَعُ آفاتٍ:

حِرْمانُ الحقِّ؛ قالَ تَعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

---

٤٠) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» برقم (٢٢٩٠٦) من حديث أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَعَمى القَلْبِ؛ قالَ تَعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾﴾ [غافر: ٣٥].

والمَقْتُ والبُغْضُ؛ قالَ تَعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [النحل: ٢٣].

وَفي هذا القَدْرِ كِفاية.

آدابُ المُريدِ مَعَ العامّة

وآدابُهُ مَعَ العَامَّةِ المُلاطَفَةُ، والمُناصَحة، والصِّدْقُ مَعَهُمْ، والعِفّةُ، والزُّهْدُ عَمّا في أيْديهِمْ، والمُباسَطة كَما يقْتَضيهِ الحالُ والوَعْظُ المُفيدِ لِقُلوبِهِمْ بِطَريقِ اللهِ تَعالى؛ فَهذِهِ الآدابُ هي قَرْعُ البابِ. وَقَدْ قيلَ: مَنْ لَزِمَ قَرْعَ بابٍ يوشِكُ أنْ يُفْتَحَ لَهُ؛ وَلا يَخْفى مافي الآدابِ مِنَ الثَّمَراتِ الحِسّيةِ والمَعْنَويةِ، فانَّ الأدَبَ مَعَ العَبْدِ يَقودُ إلى الأدَبِ مَعَ الرَّبِّ.

قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ «أدَّبَني رَبّي فأحْسَنَ تأديبي» (٤١).

---

٤١) قال العجلوني في «كشف الخفا» برقم (١٦٤):

(أدبني ربي فأحسن تأديبي) قال في الأصل: رواه العسكري عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قدم بنو نهد بن زيد على النبي ﷺ فقالوا: أتيناك من غورى تهامة... وذكر خطبتهم وما أجابهم به النبي ﷺ قال: فقلنا: يا نبي الله، نحن بنو أب واحد، ونشأنا في بني سعد بن بكر .... وسنده ضعيف جداً، وإن اقتصر شيخنا ـ يعني: الحافظ ابن حجر ـ على الحكم عليه بالغرابة في بعض فتاويه، ولكن معناه صحيح، وجزم به ابن الأثير في خطبة النهاية.

وَقالَ ﷺ: «الخَيْرُ فِيَّ وَفي أُمَّتي إلى يَوْمِ القيامة ما دامَ صَغيرُهُمْ يوقِّرُ كَبيرَهُمْ» الحَديثَ (٤٢).

وأخرج ابن السمعاني بسند منقطع عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله أدبني فأحسن تأديبي، ثم أمرني بمكارم الأخلاق فقال: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ ﴾» [الأعراف: ١٩٩].

وأخرج ثابت السرقسطي في «الدلائل» بسند واهٍ أن رجلاً من بني سليم قال للنبي ﷺ: يا رسول الله أيدالك الرجل امرأته؟ قال: «نعم إذا كان ملفحاً». قال: فقال له أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا رسول الله، ما قال لك وما قلت له ؟ قال: «قال لي: أيباطل الرجل امرأته ؟ قلت نعم، إذا كان مفلساً». قال فقال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ما رأيت أفصح منك فمن أدبك يا رسول الله ؟ قال: «أدبني ربي ونشأتُ في بني سعد».

ثم قال: وبالجملة فهو كما قال ابن تيمية: لا يُعرَفُ له إسنادٌ ثابت، لكن قال في الدرر: صححه أبو الفضل بن ناصر! وقال في اللآلئ: معناه صحيح لكن لم يأت من طريق صحيح، وذكره ابن الجوزي في الأحاديث الواهية فقال: لا يصحُّ؛ ففي إسناده ضعفاءُ لا مجاهيلُ.... ا.هـ. من «كشف الخفا».

٤٢) لم أجده بهذا التمام؛ إلا أنّ صدره مشهورٌ على الألسنة مع كونه لا أصل له ! قال العجلوني في «كشف الخفا» برقم (١٢٦٧):(الخير في وفي أمتي إلى يوم القيامة) قال في المقاصد: قال شيخنا: لا أعرفه ولكن معناه صحيح، يعني في حديث «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق إلى أن تقوم الساعة »، وقال ابن حجر المكي في الفتاوى الحديثة:

فَمِنْ ذَلِكَ يَنْبَغي لِلإنْسانِ أنْ يَكونَ لِلْكَبيرِ كَالابْنِ، وَلِلنَّظيرِ كَالأَخِ، وَلِلصَّغيرِ كَالأَبِ، وَلِلأُسْتاذِ كالمَمْلُوكِ. بَلْ تَقْديمُ أُسْتاذِهِ عَلى وَالِدِهِ وَاجِبٌ، وَلِكُلِّ بِرٍّ جالِبٌ.

قالَ بَعْضُهُمْ [من الطويل]:

أُقَدِّمُ أُسْتاذي عَلى حَقِّ والِدي

وإنْ نالَني مِنْ والِدي العِزُّ والشَّرَفْ

فَذاكَ مُرَبّي الرّوحِ والرّوحُ جَوْهَرٌ

وَهذا مُرَبّي الجِسْمِ والجِسْمُ مِنْ صَدَفْ (٤٣)

وَقالَ سُلْطانُ العاشِقينَ ابْنُ الفارِضِ:

نَسَبٌ أقْرَبُ في شَرْعِ الهَوى بَيْننا مِنْ نَسَبٍ مِنْ أبَوَيْ (٤٤)

قالَ المُنيرُ في رسالَتِهِ المَذكورة:

لم يرد بهذا اللفظ وإنما يدل على معناه الخبر المشهور: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم»،... ا.هـ.

٤٣) لم أهتدِ إلى قائل هذين البيتين.

٤٤) «ديوان ابن الفارض» ص ٢١٢ .

وَأَمَّا مَنْ لَمْ يَتأَدَّبْ فَهُوَ مُحْذَّرٌ مِنْ ذَلِكَ. وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَمْ يَبْلُغْ أَحَدٌ إلى حالةٍ شَريفةٍ إلّا بِالِاجْتِماعِ مَعَ المَشائِخِ، وَالأَخْذِ عَنْهُمْ، وَمُلازَمَةِ الأَدَبِ مَعَهُمْ، وَدَوَامِ خِدْمَتِهِمْ. ومَنْ صَحِبَهُمْ عَلى غَيْرِ الِاحْتِرامِ حُرِمَ فَوائِدَهُمْ وَبَرَكاتِ نَظَرِهِمْ.

قَالَ الجُنَيْدُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مَنْ حُرِمَ احتِرامَ المَشائِخِ ابْتَلاهُ اللهُ بِالمَقْتِ بَيْنَ العِبَادِ، نَسْأَلُ اللهَ العَافِيَةَ.

وَقالَ بَعْضُهُمْ: إنَّما حُرِمَ المُريدُونَ الوُصولَ بِتَرْكِهِمُ الأُصُولَ، وَعَدَمِ الِاقْتِداءِ بِالمَشائِخِ، والسُّلوكِ بِالْهَوَى. فَطَالَتْ عَلَيْهِمُ الطَّريقُ، وَرُبَّما مَاتَ أَحَدُهُمْ فِي أَثْنائِهَا وَلَمْ يَحْصُلْ لَهُ حَاصِلٌ.

وَقالَ بَعضُهُمْ: مَنْ جَالَسَ هذِهِ الطَّائِفَةَ ثُمَّ لَمْ يَتأَدَّبْ مَعَهُمْ سَلَبَهُ اللهُ نُورَ الإيمانِ. اهـ [٤٥].

---

٤٥) «تحفة السالكين» ص ٦١، ولم أجد هذا القول عن الجنيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلا فيه، والله أعلم.

الذِّكْرُ

فَمُحَصَّلُ ما تَقَدَّمَ السُّدى، وَلُحْمَتُهُ الذِّكْرُ؛ فَكَما لا يتِمُّ النَّسْجُ إلّا بالسُّدى واللُّحْمة فَلا يتِمُّ الأمْرُ إلّا بِهِ.

والذِّكْرُ هو تَرْدادُ اسْمِ المَذْكورِ بالقَلْبِ واللّسانِ، وَلا شَيْءَ أقرَبُ لِطَريقِ الوُصولِ إلى اللهِ ﷻ مِنْهُ، فَمنْ وُفِّقَ إلَيْهِ فَقَدْ أخَذَ لِلْوِلاية مَنْشوراً، إذْ لَمْ يَزَلْ يَذْكُرُ حَتّى يَجْتَمِعَ بِالمَذْكورِ.

قالَ بَعضُهُمْ: إذا أرادَ اللهُ أنْ يوالي عَبْدَهُ فَتَحَ لهُ بابَ ذِكْرِهِ، فإذا اسْتَلَذَّ بِذِكْرِهِ فَتَحَ لهُ بابَ القُرْبِ، ثُمَّ رَفَعَهُ إلى مَجالِسِ الأُنْسِ بِاللهِ، ثُمَّ أجْلَسَهُ عَلى كُرْسي التَّوْحيدِ، ثُمَّ رَفَعَ عَنْهُ الحُجُبَ وأدْخَلَهُ دارَ القُرْبِ، وَكَشَفَ لهُ الجَلالَ والعَظَمةَ، فإذا وَقَعَ نَظَرُهُ وَبَصَرُهُ عَلى الجَلالِ والعَظَمةِ خَرَجَ مِنْ حِسِّهِ وَدَعاوى نَفْسِهِ (٤٦).

---

٤٦) القائل هو أبو سعيد الخرّاز كما ذكر الأستاذ القشيري في «الرسالة القشيرية»: باب الولاية ص ٢٩٥.

وَقَدْ وَرَدَ الحَثُّ عَلى فِعلِه وَمُلازَمَتِهِ. قالَ اللهُ تَعالى: ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ ﴾ [البقرة: ١٥٢]، ﴿ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗاۗ ﴾ [البقرة: ٢٠٠]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ﴿٤٣﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤١ – ٤٣]، ﴿ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وَقالَ تَعالى في ذَمِّ المُنافِقينَ: ﴿ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿١٤٢﴾ ﴾ [النساء: ١٤٢].

وَقالَ تَعالى . في مُلازَمة الذّاكِرينَ والتَّحْذيرِ مِمَّنْ هو غافِلٌ .: ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الكهف: ٢٨].

وَقالَ تَعالى مُتَوَعِّداً لِلْمُعرِضينَ عَنِ الذِّكْرِ: ﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [طه: ١٢٤].

وَكَفى في مَدْحِ الذّاكِرينَ قَوْلُهُ تَعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [النور: ٣٦ – ٣٧].

وأمّا الأخْبارُ؛ فَقَدْ قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: «يَقولُ اللهُ ﷻ: أنا جَليسُ مَنْ ذَكَرَني، وأنا مَعَهُ حينَ يَذْكُرُني، إنْ ذَكَرَني في مَلأٍ ذَكَرتُهُ في مَلأٍ خَيْرٍ منْ مَلَئِهِ، وإذا تَقَرّب مِنّي شِبراً تَقَربْتُ مِنْهُ ذِراعاً، وإذا تَقَرَّبَ مِنّي ذِراعاً تَقَرَّبْتُ مِنْهُ باعاً، وإنْ أتاني يَمْشي أتَيْتُهُ هَرْوَلة» (٤٧).

---

٤٧) جمع الشيخ المؤلف في هذه الرواية بين حديثين قدسيين:

الأول: «أنا جليس من ذكرني».

قال في «كشف الخفا» برقم (٦١١): (أنا جليس من ذكرني) رواه الديلمي بلا سندٍ عن عائشة مرفوعاً.

وعند البيهقي في «الشعب» [برقم (٦٨٠)] عن أبيّ بن كعب قال: قال موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: يا ربّ، أقريبٌ أنت فأناجيك، أو بعيد فأناديك؟ فقيل له: يا موسى أنا جليس من ذكرني.

ونحوه عند أبي الشيخ في «الثواب» عن كعب، والبيهقيُّ أيضاً في موضع آخر [برقم (٧٠٩)] أن أبا أسامة قال لمحمد بن النضر: أما تستوحش من طول الجلوس في البيت ؟ فقال: ما لي أستوحش وهو يقول: أنا جليس من ذكرني ؟

وأخرجه أبو الشيخ عن محمد بن نضر الحارثي أنه قال لأبي الأحوص: أليس تروي أنه قال: أنا جليس من ذكرني، فما أرجو بمجالسة الناس؟

وعند البيهقي [برقم (٥٠٩)] معناه في المرفوع عن أبي هريرة أنه قال: سمعت أبا القاسم ﷺ يقول: إن الله عز وجل قال: أنا مع عبدي ما ذكرني، وتحرّكت بي شفتاه»، ورواه الأوزاعي عن أبي هريرة موقوفاً ومرفوعاً والمرفوع أصحُّ.

ورواه الحاكم [في «المستدرك» برقم (١٨٢٨)] وصحّحه عن أنس بلفظ: «قال الله تعالى: عبدي، أنا عند ظنك بي، وأنا معك إذا ذكرتني». ا.هـ من «كشف الخفا».

وما عزاه للديلمي هو في «الفردوس بمأثور الخطاب» برقم (٤٥٣٣) من حديث ثوبان مولى النبي ﷺ: «قال موسى: يا رب، أقريب أنت أناجيك، أم بعيد أناديك؛ فإني أحس حسَّ صوتك ولا أراك، فأين أنت؟ فقال الله: خلفك وأمامك، وعن يمينك وعن شمالك، يا موسى، إني جليس عبدي حين يذكرني، وأنا معه إذا دعاني». والله تعالى أعلم.

وأما الحديث الثاني فهو قوله ﷺ: «وأنا معه عندما يذكرني....» الحديثَ. وطرفه: «أنا عند ظن عبدي بي».

وقد أخرجه البخاري في «صحيحه»: كتاب التوحيد: باب قول الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨]: برقم (٧٤٠٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً، وفيه «وأنا معه إذا ذكرني».

وأخرجه مسلم في «صحيحه»: الذكر والدعاء والتوبة: باب الحث على ذكر الله تعالى: برقم (٦٨٠٥).

وَقالَ ﷺ: «ذاكِرُ اللهِ في الغافِلينَ كالشَّجَرة الخَضْراءِ في وَسَطِ الهَشيمِ» (٤٨).

وَقالَ ﷺ: «لَذِكْرُ اللهِ في الغَداةِ والعَشي خَيْرٌ مِنْ حَطْمِ السُّيوفِ في سَبيلِ اللهِ تَعالى» (٤٩).

---

٤٨) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» ٦/١٨١ بإسناده إلى ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال: «ذاكر الله في الغافلين كالذي يقاتل عن الفارّين، وذاكر الله في الغافلين مثل المصباح في البيت المظلم، وذاكر الله في الغافلين مثل الشجرة الخضراء في وسط الشجر، وذاكر الله في الغافلين يعرفه الله مقعده من الجنة، وذاكر الله في الغافلين يغفر الله له بعدد كل فصيح وأعجمي؛ فالفصيح بنو آدم، والأعجمي البهائم».

وأخرجه البيهقي في «شعب الإيمان»: العاشر من شعب الإيمان و هو باب في محبة الله ﷻ: فصل في إدامة ذكر الله ﷻ: برقم (٥٦٥).

وذكر الحافظ العراقي في «تخريج احاديث الإحياء» [بهامشه] ١/٤٥٧ أن سنده ضعيف.

٤٩) أخرجه الحافظ ابن عدي في «الكامل في ضعفاء الرجال» ٣/٥٣٤ في ترجمة خراش بن عَبد الله قال: زعم أنه مولى أنس ابن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ! وسمعت أبا سَعِيد الحسن بن علي بن صالح بن زكريا بن يَحْيى بن صالح بن زفر العدوي يقول: مررتُ بالبصرة بأبي عثمان بن أبي العاص الثقفي؛ فإذا الناس مجتمعين في منخل طحان على رجلٍ فمِلتُ إليه كما ينظر الغلمان، فإذا أنا بهذا الشيخ، فقلت: من هذا ؟ فقالوا: خراش بن عَبد الله خادِمُ

أنسِ بْنِ مالكٍ! قلتُ: كم له من سنة؟ قالوا: ثمانون ومِئَة! فزحمتُ الناسَ فدخلت إليه. وبين يديه جماعة يكتبون عنه والباقون نظارة. فأخذت قلماً من يد رجُلٍ، وكتبت هذه الأربعة عشر حديثاً في أسفل نعلي، وذلك في سنة اثنتين وعشرين ومِئَتَين وأنا ابن اثنتي عشرة سنة.

ثم قال ابن عديّ بعد أن ساق الأحاديث: قرأتُ هذه الأحاديثَ في المحرم سنة ستين وثلاث مئة، وخراش هذا مجهول ليس بمعروف، وما أعلم حدّث عنه ثقةٌ أو صدوق إلاَّ الضعفاء! وهذه الأحاديث، عن أنَسٍ عامةُ متونها صالحةٌ، قد رُوي من غير هذا الوجه في بعض هذه المتون مناكيرُ فإذا لم يُعرَفِ الرجلُ وكان مجهولاً كان حديثُهُ مثلَه، والعدوي هذا كنا نتهمه بوضع الحديث، وَهو ظاهرُ الأمر في الكذب. ا.هـ.

وذكر الديلمي هذا الحديث في « الفردوس بمأثور الخطاب» برقم (٥٤٠٢).

وأورده ابن عراق الكناني في «تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة» ٢/٣٢٧.

وقد رواه ابن أبي شيبة في «المصنف»: كتاب الدعاء: في ثواب ذكر الله ﷻ: برقم: (٢٩٩٤٧) من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والصواب أنه عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ كما صحح محققه، وكما روى ابن أبي شيبة نفسه في: كتاب الزهد: زهد الصحابة رضي الله عنهم: ما جاء في فضل ذكر الله: برقم: (٣٦٠٥٦).

وَقالَ ﷺ: «ما مِنْ رَجْلٍ جَلسَ مَعَ قَوْمٍ يَذْكُرونَ اللهَ مُنْذُ صَلاةِ الغَداةِ حَتّى تَطْلُعَ الشّمْسُ إلّا كانَ خَيْراً مِمَّنْ أعْتَقَ أرْبَعَ مِئة مِنْ وَلَدِ إسْماعيلَ» (٥٠).

وأمّا الآثارُ؛ فَقَدْ قالَ الفُضَيْلُ (٥١): بَلَغَنا أنَّ اللهَ ﷻ، قالَ: عَبْدي اُذْكُرْني بَعْدَ الصُّبحِ ساعة وَبَعْدَ العَصْرِ سأعة أكْفِكَ ما بَيْنَهُما (٥٢).

وقالَ شَيْخُنا العارفُ بِاللهِ سَيِّدي أبو البَرَكاتِ الدَّرْديرُ:

---

٥٠) لم أجد هذا الحديث، والله أعلم ! ويُشبهه ما أخرجه أبو داود في «سننه»: العلم: باب في القصص: برقم (٣٦٦٧) عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «لَأن أقعُدُ مع قوم يذكرون الله تعالى من صلاة الغداة حتى تطلع الشمس أحبُّ إليّ من أن أعتق أربعة من ولد إسماعيل، ولأن أقعد مع قوم يذكرون الله من صلاة العصر إلى أن تغرب الشمس أحب إليّ من أن أعتق أربعةً».

٥١) الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر (١٠٥ - ١٨٧ هـ = ٧٢٣ - ٨٠٣ م)، الإمام القدوة الثبت، شيخ الإسلام، أبو علي التميمي اليربوعي الخراساني، المجاور بحرم الله.حدث عنه الأئمة كالشافعي، وسفيان بن عيينة، وابن المبارك، وشيخه سفيان الثوري؛ من أعلام الأمة علماً وزهداً وورعاً. توفي في مكة مجاوراً رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

يُنظر: «الأعلام» للزركلي ٥/١٥٣، «موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان» ٢٣/٥٢.

٥٢) ذكره الغزالي في «الإحياء» ١/٤٥٨.

هذا حاصِلُ طَريقِ القَوْمِ وَهَيَ طَريقٌ مُقَوَّمٌ، كيْفَ وَمَقْصِدُهُمْ تَحْصيلُ تَقْوى اللهِ الَّتي لا يُدْرِكُها غَيْرُهُمْ كما شَهِدْناهُ؛ والتَّلَبُّسُ بِالآدابِ المُحَمّديةِ، فَلا عِبْرة بِاعْتِراضِ المُعْتَرِضينَ عَلَيْهِمْ بِما هو مِنْ شأنِهِمْ، ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾﴾ [فاطر: ١٩].

وَمِنَ الجَهْلِ المُرَكَّبِ أنَّ الأعْمى يَعْتَقِدُ أنَّهُ بَصيرٌ مَعَ أنَّهُ مُكَبَّلٌ بِشَهَواتِهِ يَرى أعْمالَهُ كُلَّها حَسَنة، وأنَّ سَيِّئاتِهِ مَغْفورة بهذِهِ الأعَمالِ الحَسَنة!

وَقَدْ أخْطأ مِنْ وُجوهٍ؛ لأنّهُ أعْمى، بِخِلافِ القَومِ؛ فإنَّهُمْ لا يَرَوْنَ لَهُمْ أعمالاً حَسَنة أبداً، وَيمْنَعونَ أنْفُسَهُمْ فُضولَ المُباحاتِ والمَكروهاتِ فَضْلاً عَنِ المُحَرَّماتِ، فَدائماً يَرَون أنْفُسَهمْ أنَّها تَسْتَحِقُّ الخَسْفَ والعذابَ لَوْلا عَفْوُ اللهِ تَعالى، وَكُلَّما تَرَقّى الإنسانُ مِنْهُمْ انْكَشَفَ لهُ عَنْ قُبْحِ نَفْسِهِ ما لَمْ يَنكَشِفْ؛ حَتّى يَصيرَ أحَدُهُمْ عَبْداً ذليلاً مِسْكيناً حَقيراً، وَكُلَّما تَرَقّى تَذَلّلَ وَتَواضَعَ وَرأى نَفْسَهُ أنّهُ لَيْسَ بِشَيءٍ.

فَلْيَحْذَرِ المُعترِضُ علَيهِمْ مِنْ مَقْتِ اللهِ؛ فإنَّ اللهَ عِنْدَ المُنكَسِرة قُلوبُهُمْ مِنْ أجْلِهِ [٥٣]، فَهُمْ أولياءُ اللهِ تَعالى، واللهُ لا يتْرُكُهُمْ لِغَيْرِهِ كما هو مُبَيَّنٌ، وَلا يَعيبُهُمْ ذِكْرُ اللهِ قياماً وَقُعوداً، وَلَذّتُهُمْ في الذِّكْرِ والإنشادِ الَّذي يَقَعُ مِنْهمْ، وَلَيْسَ لِخِفّةٍ، كما يَزْعُمُ المُتكَبِّرونَ!

فإنَّ لِلذِّكْرِ حَلاوةً ومُخامَرةً باطِنيةً يَعلَمُها أرْبابُها، فَتقْتَضي هذِهِ الحالةُ شِدّة الذِّكْرِ وَشِدّة الهَزِّ. اهـ أيْضاً مِنْ «تُحفة الإخْوانِ» [٥٤].

أقولُ: وَلا حَرَجَ عَلَيْهِمْ، أيِ: الذّاكِرينَ في كلِّ ما ذَكَروا، وَفي مَيَلانِهِمْ يَميناً وَشِمالاً وأماماً وَخَلْفاً.

وَفي «فَتاوى الخَليليِّ» [٥٥]: وأمّا الاهْتِزازُ في حالةِ الذِّكْرِ فَمَنْدوبٌ إلَيْهِ؛ لِما رَوى الحافِظُ أبو نَعيمٍ أحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الأصْفَهانيُّ [٥٦] بِسَنَدِهِ

---

٥٣) أخرج ابن أبي الدنيا في «الهم والحزن» برقم (٦١) عن عبد الله بن شوذب قال: قال داود النبيُّ ﷺ: أيْ ربِّ، أين ألقاك؟ قال: تلقاني عند المنكسرة قلوبهم.

وذكر الإمام الغزالي في «الإحياء» ٤/٣٠٨ وأوحى الله تعالى إلى إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ: اطلبني عند المنكسرة قلوبهم قال: ومن هم؟ قال: الفقراء الصادقون. ولا أصل له في المرفوع إلى النبي ﷺ. يُنظر «اللؤلؤ المرصوع فيما لا أصل له أو أصله موضوع» للقاوقجي ص ٢٣-٢٤.

٥٤) «تحفة الإخوان» ص [في ثلاثة أرباع الرسالة].

عَنْ عَلِيٍّ بْنِ أبي طالِبٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أَنَّهُ وَصَفَ الصَّحابةَ يَوْماً فقالَ: كانوا إذا ذَكَروا اللهَ مادوا كما يَميدُ الشَّجَرُ في اليَوْمِ الشّديدِ الرّيحِ، وَجَرَتْ دُموعُهُمْ عَلى ثيابِهِمْ [٥٧].

قالَ أهْلُ اللُّغة: مادَ يَميدُ: إذا تَحَرَّكَ، وَمادَتِ الأغْصانُ تميدُ: تمايَلَتْ [٥٨].

---

٥٥) عبد المعطي بن محيي الدين الخليلي (... - ١١٥٤ هـ = ... - ١٧٤١ م)، فقيه شافعي، ولد في بلد الخليل بفلسطين، وتعلم في الأزهر بمصر. كانت له متانة في الفروع الفقهية، شديد المحاضرة على سرد مسائلها البهية، تولى إفتاء الشافعية بالقدس أكثر من خمسة وعشرين سنة بلا طلبٍ إلى أن توفي، له «مجموعة فتاوى»، و«رسائل»، و«نظم».

يُنظر: «سلك الدرر» للمرادي ٣/١٣٦-١٣٨، «الأعلام» للزركلي ٤/١٥٥.

٥٦) الحافظ الكبير محدث العصر أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني، الصوفي الأحول (٣٣٦-٤٣٠ هـ= ٩٤٨- ١٠٣٨م). أجلُّ تصانيفه: «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء»، وله «معرفة الصحابة»، و«طبقات المحدثين والرواة»، و«دلائل النبوة»، و«ذكر أخبار أصبهان».

يُنظر: «تذكرة الحفاظ» للحافظ الذهبي برقم (٩٩٣)، و«الأعلام» ١/١٥٧.

٥٧) «حلية الأولياء» ١/٧٦ بلفظ قريب.

٥٨) يُنظر: «تاج العروس» للزبيدي (ميد) ٩/١٩٢-١٩٣.

قالَ شَيْخُنا العارِفُ بِاللهِ جَمالُ الدّينِ عَبْدُ اللهُ بِنُ حُسامِ الدّينِ خَليلٌ الِاسْتُرابادي البُسْطامي. قَدَّسَ اللهُ تَعالى روحَهُ.[٥٩]:

وَهَذا صريحٌ في أنَّ الصَّحابةَ رضي الله عنهم كانوا يَتَحَرَّكونَ في الذِّكرِ حَرَكة شَديدة يَميناً وَشِمالاً، لأنّهُ شَبَّهَ حَرَكَتَهُمْ بِحرَكةِ الشَّجَرِ يَوْمَ الرّيحِ، وَمِنَ المَعْلومِ أنَّ الشَّجَرَ في يَوْمِ الرّيحِ يَتَحَرَّكُ حَرَكةً شَديدة، فَثَبَتَ مُطلَقاً إباحة المَيَلانِ بهذا الأثَرِ.

على أنَّ الرَّجُلَ غَيْرُ مُؤاخَذٍ بِما يَتَحَرَّكُ ويقْعُدُ وَيَقومُ وَيَلبَثُ عَلى أيِّ نَوْعٍ كانَ بَعْدَ أنْ لا يكونَ مَنْهيّاً عَنْهُ؛ وَلَمْ يَرِدْ عَنْهُ ﷺ نَهْيٌ عَنِ الحرَكةِ في الذِّكْرِ، وَلَوْ كانَ فيها كَراهةٌ لَبَيَّنها لأمَّتِهِ فيما وَرَدَ عَنْهُ، وَلا يَجوزُ تأخيرُ البيانِ عَنْ وَقْتِ الحاجة. اهـ بِالحَرْفِ الواحِدِ[٦٠].

والذِّكْرُ عَلى كُلِّ حالٍ مِنَ العِبادِ مَطْلوبٌ، سَواءٌ كانَ قياماً أو قُعوداً، سَفَراً أو حضَراً صِحّةً أو مَرَضاً. وَقال اللهُ تَعالى: ﴿ **ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ** ﴾ [آل عمران: ١٩١]. عَلى ما فيها

---

٥٩) لم أهتدِ إلى ترجمةٍ له، والله أعلم.

٦٠) «فتاوى الخليليّ» ٢/٢٥٩.

مِنَ التَّفاسيرِ. فَهي دالّةٌ عَلى إباحة القيامِ، بَلْ هو أولى إذا لَحِقَهُ الكَسَلُ والفُتورُ عِنْد الجُلوسِ.

وَلا عِبْرة بِقَوْلِ المُعْتَرِضِ بِكَراهيةِ الرَّقْصِ، الَّذي نَسَبَ بِهِ أحِبّاءَ اللهِ لِلنَّقْصِ؛ حالَ كَوْنِ الرَّقصِ جائِزاً وَلا كَراهيةَ فيهِ؛ كَما يُؤْخَذُ مِنَ الأحاديثِ الشَّريفة.

فَقَدْ رُويَ في الحديثِ: أنّ جَعفْرَ بْنَ أبي طالبٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ رَقَصَ بَيْنَ يَدَيِ النَّبيَّ ﷺ لَمّا قالَ لَهُ «أشْبَهْتَ خَلْقي وَخُلُقي»، وَذَلِكَ مِنْ لَذّة هذا الخِطابِ، وَلَمْ يُنْكِرْ عَلَيهِ النَّبيُّ ﷺ (٦١).

---

٦١) قول النَّبيَّ ﷺ لجعفر: «أشْبَهْتَ خَلْقي وَخُلُقي» أخرجه. في قصةٍ. البخاريّ في «صحيحه»: كتاب الصلح: باب كيف يكتب هذا ما صالح فلان بن فلان وفلان بن فلان وإن لم ينسبه إلى قبيلته أو نسبه: برقم (٢٦٩٩) من حديث البراء بن عازب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. وليس فيه زيادة الحجل.

وأخرجه. دون القصة. الترمذي في «جامعه»: كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ: باب مناقب جعفر بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: برقم (٣٧٦٥)، وقال: حديث حسن صحيح.

وأخرجه. دون زيادة الحجل. أبو داود في «سننه»: الطلاق: باب من أحق بالولد: برقم (٢٢٧٨-٢٢٨٠) من حديث عليٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

وأخرجه دونها الإمام أحمد في «مسنده» برقم (٩٣١).

فَهذا يَدُلُّ عَلى جَوازِ الرَّقصِ عِنْدَ الوَجْدِ والهُيام مِنْ لَذّة الذِّكْرِ لِلْحَبيبِ الأعْظَمِ.

وَرُوِيَ عَنَ النَّبيِّ ﷺ أنّهُ قالَ: «لمّا أهْبَطَ اللهُ تَعالى آدَمَ إلى الأرْضِ بَكى ثَلاثَ مِئة عامٍ، فاوحى اللهُ تَعالى إلَيْهِ: ما يُبْكيكَ؟ قالَ: يا ربِّ لَسْتُ أبكي شَوْقاً إلى الجَنّة وَلا خَوْفاً مِنَ النّارِ، وَلَكِنْ أبكي عَلى فِراقِ المَلائِكة الّذينَ يَطوفونَ حَوْلَ العَرْشِ سبْعونَ ألفَ صَفٍّ جُرْدٌ مُرْدٌ يَرْقُصونَ وَيَتَواجَدونَ، كُلُّ واحِدٍ مِنْهُمْ قَدْ أخَذَ بيدِ صاحِبِهِ يَقولونَ

وأما الحجل. وهو: أن يرفع رِجْلاً ويتريث في مشيه على رجله، وقيل: يكون بهما إلا أنه قفزٌ لا مشيٌ». يُنظر تاج العروس» (حجل) ٢٨/٢٨١. فقد ورد من رواية عليٍّ بن أبي طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخرجه الإمام أحمد في «المسند» برقم (٨٥٧).

وفي إسناد هذه الرواية هانئ بن هانئ الهمداني الكوفي: روى عن علي بن أبي طالب، وروى عنه أبو إسحاق السبيعي، ولم يرو عنه غيره.ذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من أهل الكوفة، قال: وكان يتشيع، وقال ابن المديني: مجهول، وقال حرملة عن الشافعي: هانئ بن هانئ: لا يعرف. يُنظر: «تهذيب التهذيب» (٢٢/١١-٢٣)

وأبو إسحاق السبيعي عمرو بن عبد الله الكوفي مشهور بالتدليس، يُنظر: «تهذيب التهذيب» (٦٣/٨-٦٧).

ولم يُصرّح بالتحديث؛ فالحديث منكَر بهذه الزيادة، والله تعالى أعلم.

بِأعْلى صَوْتِهِمْ: مَنْ مِثْلُنا وأنْتَ رَبُّنا، مَنْ مِثْلُنا وأنْتَ حَبيبُنا ؟ وَذَلكَ دأبُهُمْ إلى يَوْمِ القيامة.

فأوحى اللهُ تَعالى إليْه: أنِ ارفَعْ رأسَكَ. يا آدَمُ. فانْظُرْ، فَرَفَعَ رأسَهُ إلى السَّماءِ، فَنَظَرَ إلى المَلائِكة وَهُمْ يَطيرونَ حَوْلَ العَرْشِ فَسَكَنَ رَوْعُهُ (٦٢).

وَقالَ ﷺ: «لَيْسَ بِكَريمٍ مَنْ لَمْ يَهْتَزَّ عِنْدَ ذِكْرِ الحَبيبِ» (٦٣).

---

٦٢) ذكره الشيخ أحمد الرفاعي في «البرهان المؤيد» ص ٤٨-٤٩ قال: جاء في الآثار:.... وذكره دون أن يَعزوَهُ إلى النبي ﷺ، ولم أجده مروياً عنه ﷺ، والله تعالى أعلم.

٦٣) أخرجه السهروردي في «عوارف المعارف» ص ١٤٦-١٤٧ قال:

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كنا عند النبي ﷺ إذ نزل عليه جبريل فقال: يا رسول الله، فقراء أمتك يدخلون الجنة قبل الأغنياء بخمس مئة عام وهو نصف يوم ففرح فقال: «أفيكم من يُنشد؟»، فقال بدريٌّ: نعم يا رسول الله!، فقال: «هات»، فأنشد البدري يقول [من المنسرح]:

قد لسعت حيةُ الهوى كبدي= فلا طبيبَ لها ولا راق

إلا الحبيب الذي قد شغفتُ بهِ= فعنده رقيتي وترياقي

فتواجد، وتواجد أصحابُه معه حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فلما فرغوا أوى كلٌّ واحد إلى مكانه، فقال معاوية: ما أحسن لَعِبَكُم يا رسول الله ! فقال: «مَهْ مَهْ. يا معاوية. ليس بكريم من لم يهتز عند ذكر الحبيب»، ثم اقتسم رداءَه من حضرهم بأربع مئة قطعة.

وَوَرَدَ أَيْضاً أَنّهُ بَشَّرَ أَصْحابَهُ بِبِشارة، فَكُلُّ مَنْ بَشَّرَهُ مِنْهُمْ خجِلَ واضْطَرَبَ وتَمايَلَ فَرَحاً بِما بَشَّرَهُ بِهِ ﷺ (٦٤).

فَدَلَّ هذا أَيْضاً عَلى جَوازِ الِاضْطِرابِ والِاهْتِزازِ عِنْدَ الهُيامِ والفَرَحِ.

وقَدِ اخْتَلَفَ الفُقَهاءُ في الِاهْتِزازِ عِنْدَ قِراءة القُرْآنِ وانْحَطَّ الحالُ عَلى فِعْلِهِ بِقَدْرِ الحاجة لِلنَّشاطِ، وَذلكَ لِعَدَمِ الفارِقِ.

وَفي «رَبيعِ الأبْرارِ» (٦٥) أنّهُ قيلَ لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ: إنَّ جَماعة كَذا يَقومونَ وَيَرْقُصونَ، قالَ: هُمْ عُشّاقٌ؛ دَعْهُمْ يَفْرَحونَ مَعَ اللهِ ساعة (٦٦).

ثم قال السهروردي: فهذا الحديث أوردناه مسنداً كما وجدناه، وقد تكلم في صحته أصحابُ الحديث، وما وجدنا شيئاً نُقل عن رسول الله ﷺ يُشاكل وجد اهل هذا الزمان وسماعهم واجتماعهم وهيئتهم إلا هذا ! وما احسنه من حجة للصوفية وأهل الزمان في سماعهم وتمزيقهم الخرق وقسمتها لو صحّ، والله أعلم، ويُخالج سرّي أنه غير صحيح، ولم أجد فيه ذوقَ اجتماع النبي ﷺ مع أصحابه، وما كانوا يعتمدونه على ما بلغنا في هذا الحديث، ويأبى القلبُ قَبولَه، والله أعلم بذلك. ا.هـ..

٦٤) لم أجده البتةَ، والله تعالى أعلم.

وأمّا ما قالَهُ وورَدَ عَنْهُ ﷺ في فَضيلة مَجلِسِ الذِّكرِ فكَثيرٌ؛ مِنْهُ قَولُهُ ﷺ: «ما جَلَس قَوْمٌ مَجْلِساً يَذْكُرونَ اللهَ ﷻ فيهِ إلّا حَفَّتْ بِهِمُ المَلائِكة، وغَشيتْهُمُ الرَّحْمة، وذَكَرَهُمُ اللهُ في مَنْ عِنْدَهُ» (٦٧).

---

٦٥) أحسب أن المقصود كتاب «ابتسام الأزهار من رياض الأخبار في ربيع الأبرار بمولد الحبيب المختار ﷺ» للشيخ عبدالسلام بن إبراهيم اللقاني المصري الحافظ الفقيه الصوفي المالكي شيخ المالكية بمصر المتوفى (١٠٧٨هـ)، والله أعلم.

٦٦) لم أجده في شيءٍ من كتب المتقدمين من الصوفية، ولا أهل التراجم؛ وذكره أبو سعيد الحسن بن علي الواعظ النيسابوري في كتابه «الحدائق لأهل الحقائق» ص ١٦٥، والله أعلم به.

٦٧) أخرجه ـ بهذا اللفظ ـ الإمام أحمد في «مسنده» برقم (١١٤٦٣) من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

والحديث باختلافٍ في ألفاظه من روايتهما ـ أخرجه مسلم في «صحيحه»: الذكر والدعاء والتوبة: باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر: برقم (٦٨٥٥).

وأخرجه الترمذي في «جامعه»: كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ: باب ما جاء في القوم يجلسون فيذكرون الله ﷻ ما لهم من الفضل: برقم (٣٣٧٨)، وقال: حديث حسن صحيح.

وَقال ﷺ: «ما مِنْ قَوْمٍ اجْتَمَعوا يَذْكُرونَ اللهَ تَعالى لا يُريدونَ بِذلِكَ إلّا وَجْهَهُ إلّا ناداهُمْ مُنادٍ مِنَ السَّماءِ: قوموا مَغْفوراً لَكُمْ؛ قَدْ بُدِّلَتْ لَكُمْ سَيِّئاتُكُمْ حَسَناتٍ» (٦٨).

وَقالَ سُفْيانُ بْنُ عُيَيْنة رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٦٩): إذا اجْتَمَعَ قَوْمٌ يَذْكُرونَ اللهَ تَعالى اعْتَزَلَ الشَّيْطانُ والدُّنْيا، فَيَقولُ الشَّيْطانُ لِلدُّنْيا: ألا تَرَيْنَ ما يَصْنَعونَ؟ فَتقولُ: دَعْهُمْ؛ فإنَّهُمْ إذا تَفَرَّقوا أخَذْتُ بأعْناقِهِمْ إلَيْكَ(٧٠).

---

٦٨) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» برقم (١٢٤٥٣) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وفيه ميمون بن سياه وثقه جماعة وفيه ضعفٌ، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح. يُنظر: «مجمع الزوائد» برقم (١٦٧٦٤).

٦٩) سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي، أبو محمد: (١٠٧ - ١٩٨ هـ = ٧٢٥ - ٨١٤ م) محدث الحرم المكي؛ ثقة، حافظ، فقيه، إمام، حجة؛ واسع العلم كبير القدر، قال الشافعي: لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز.إلا أنه تغير حفظه بأخرة، وكان ربما دلس، لكن عن الثقات من رؤوس الطبقة الثامنة، وكان أثبت الناس في عمرو بن دينار، روى له الجماعة، كان أعور، وحج سبعين سنة، له «الجامع» في الحديث، و«كتاب» في التفسير.

يُنظر: «تهذيب التهذيب» للحافظ ابن حجر ٤/١١٧-١٢٢، و«الأعلام» للزركلي ٣/١٠٥.

وَقال ﷺ: «إذا مَرَرْتُمْ بِرياضِ الجَنّة فارْتَعوا». قالوا: وَما رياضُ الجنّة يا رَسولَ اللهِ؟ قالَ: «حِلَقُ الذِّكْرِ» (٧١).

وأمّا رَفْعُ الصَّوْتِ فيهِ والجَهْرُ بِهِ فَيُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ: «في مَلأٍ»، والمَلأ لا يَذْكُرُ إلّا بِالجهْرِ وَرَفْعِ الصَّوتِ.

وَقَدْ تَقَدَّمَ أنّ النَّبيَّ ﷺ لَقّنَ عَلياً بْنَ أبي طالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذِّكْرَ جَهْراً رافِعاً صَوْتَهُ (٧٢).

وَقَدْ وَرَدَ الأمْرُ بِالجهْرِ بِالذِّكْرِ في العيدِ (٧٣)، وَهو ذاهِبٌ إلى المُصَلّى (٧٤)، والتَّلْبيةِ (٧٥)، والرِّباطِ (٧٦).

---

٧٠) ذكره الإمام الغزالي في «إحياء علوم الدين» ١/٤٥٩.

٧١) وأخرجه الترمذي في «جامعه»: كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ: باب: برقم (٣٥١٠)، من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال: هذا حديث حسن غريب.

وأخرجه كذلك الإمام أحمد في «المسند» برقم (١٢٥٢٣).

٧٢) انظر ما سلف ص ٢٦.

٧٣) لم أجد الأمر بالجهر في الذكر في العيد مأثوراً عن سيدنا النبي ﷺ.

إلا أنه علّق البخاري في «صحيحه»: كتاب العيدين: باب التكبير أيام منى، وإذا غدا إلى عرفة: ص ٢٠٦: أ نه كان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يكبر في قبته بمنى، فيسمعه أهل المسجد، فيكبرون، ويكبر أهل الأسواق حتى ترتج منى تكبيراً.

وأخرجه البيهقي في «السنن الكبرى»: كتاب صلاة العيدين: باب من قال يكبر فى الأضحى خلف صلاة الظهر من يوم النحر...: برقم (٦٤٨٩).

وعلّق البخاري في «صحيحه»: كتاب العيدين: باب فضل العمل في أيام التشريق: ص ٢٠٥: أن ابن عمر وأبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كانا يخرجان إلى السوق في أيام العشر يكبران، ويكبر الناس بتكبيرهما.

٧٤) أخرج البيهقي. وضعفه. في «السنن الكبرى»: كتاب صلاة العيدين: باب التكبير ليلة الفطر ويوم الفطر وإذا غدا إلى صلاة العيدين قال الله جل ثناؤه فى شهر رمضان: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٥] عن نافع، عن عبد الله أن رسول الله ﷺ كان يخرج في العيدين مع الفضل بن عباس، وعبد الله بن عباس، وجعفر، والحسن، والحسين، وأسامة ابن زيد، وزيد بن حارثة، وأيمن بن أم أيمن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا رافعاً صوته بالتهليل والتكبير، ويأخذ طريق الجدادين حتى يأتي المصلى، وإذا فرغ رجع على الحذائين حتى يأتى منزله.

٧٥) أخرج أبو داود في «سننه»: المناسك: باب كيف التلبية: برقم (١٨١٤)، عن خلاد بن السائب الأنصاري، عن أبيه: أن رسول الله ﷺ قال: «أتاني جبريل فأمرني أن آمُرَ أصحابي ومن معي أن يرفعوا أصواتهم بالإهلال». أو: قال. «بالتلبية». يريد: أحدهما.

وأخرجه الترمذي في «جامعه»: أبواب الحج عن رسول الله ﷺ: باب ما جاء في رفع الصوت بالتلبية: برقم (٨٢٩).

وأخرجه النسائي في «المجتبى»: كتاب مناسك الحج: رفع الصوت بالإهلال: برقم (٢٧٥٤).

ووَرَدَ أَنَّهُ ﷺ كانَ يَجْهَرُ بِالقُرْآنِ فَسَمِعَهُ أَهْلُ الدّورِ حَوْلَهُ (٧٧).

وأَصْحابُهُ كانوا يَقْرَؤونَ مُعَقِّباتِ الصَّلَواتِ جهْراً في زَمَنِهِ ﷺ (٧٨).

وابن ماجه في «سننه»: كتاب المناسك: باب رفع الصوت بالتلبية: برقم (٢٩٢٢).

وأخرجه الإمام أحمد في «مسنده» برقم (١٦٥٦٧).

٧٦) لم أجد الأمر بالجهر في الذكر في الرباط مأثوراً عن سيدنا النبي ﷺ.

إلا أنه استحبه بعض الفقهاء؛ كما روي عن الإمام مالك بن أنس قال: لا بأس بالتكبير في الرباط والحرس على البحر ورفع الصوت به في ليل أو نهار . يُنظر: «منح الجليل» للشيخ محمد عليش ٣/١٦٢.

٧٧) لم أجده، والله تعالى أعلم.

٧٨) أخرج البخاري في «صحيحه»: كتاب الأذان: باب الذكر بعد الصلاة: برقم (٨٤١) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: أن رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة كان على عهد النبي ﷺ.

وأخرجه مسلم في «صحيحه»: المساجد ومواضع الصلاة: باب الذكر يعد الصلاة: برقم (١٣١٨).

وأخرج البخاري في «صحيحه»: كتاب الأذان: باب الذكر بعد الصلاة: برقم (٨٤٢) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كنت أعرف انقضاءَ صلاة النبي ﷺ بالتكبير.

وَخَبَرُ البَيْهَقي [٧٩] عَن ابْنِ الأوزاعي [٨٠]، قالَ: انطَلَقْتُ مَعَ رَسولِ اللهِ ﷺ فَمَررْنا برَجُلٍ في المسْجِدِ يَرْفَعُ صَوْتَهُ بِالذِّكْرِ، فَقُلْتُ: يا رَسولَ اللهِ، عَسى أنْ يَكونَ مُرائياً؛ قالَ: «لا، لَكِنَّهُ أواهٌ» [٨١].

وأخرجه مسلم في «صحيحه»: المساجد ومواضع الصلاة: باب الذكر يعد الصلاة: برقم (١٣١٦).

٧٩) الإمام الحافظ العلامة شيخ خراسان, الأشعري الشافعي أحمد بن الحسين البيهقي، أبو بكر (٣٨٤- ٤٥٨هـ = ٩٩٤- ١٠٦٦م)، قال إمام الحرمين: ما من شافعيٍّ إلا وللشافعيِّ في عنقه مِنّةٌ إلا البيهقي؛ فإن له على الشافعي منةً؛ لتصانيفه في نصرته لمذهبه وأقواله، له الكثير من المصنفات منها: «السنن الكبرى»، «معرفة السنن والآثار»، «الاعتقاد»، «شعب الإيمان». يُنظر: «تذكرة الحفاظ» للحافظ الذهبي: برقم (١٠١٤)، و«الأعلام» ١/١١٦.

٨٠) كذا، والصواب «ابن الأدرع»؛ كما في مصادر الحديث.

وهو سلمة بن الأدرع، واسم أبيه: ذكوان، وقيل: هو محجن بن الأدرع الأسلمي صحابي نزل البصرة واختط مسجدها، وعمر طويلاً حتى مات في خلافة معاوية، وفيه قال رسول الله ﷺ: «ارموا وأنا مع ابن الأدرع»

يُنظر: ««أسد الغابة في معرفة الصحابة» لابن الأثير الجزري: بالأرقام (٢١٥١) و (٤٦٨٤)و (٦٣٥٦).

وعَنْ جابِر بن عبْدِ اللهِ الأنْصاريِّ [٨٢]: أنَّ رَجُلاً كانَ يَرْفَعُ صَوْتَهَ بِالذِّكْرِ، فقال رَجُلٌ لوْ أنَّ هَذا أخْفَضَ مِنْ صَوْتِهِ! فقالَ النَّبيُّ ﷺ: «دَعْهُ؛ فإنهُ أواهٌ» [٨٣]. أيْ: حليمٌ رَقيقُ القَلْبِ [٨٤].

---

٨١) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان»: العاشر من شعب الإيمان و هو باب في محبة الله ﷻ: فصل في إدامة ذكر الله ﷻ: برقم (٥٨١) باختلافٍ منهُ: أن الرجل كان يرفع صوته في صلاته، ثم قال: وإسناد هذا الحديث مرسل.

وأخرجه كذلك الإمام أحمد في «مسنده» برقم (١٨٩٧١)

٨٢) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام (١٦ق ه- ٧٨ ه= ٦٠٧- ٦٩٧م) أبو عبد الله، وقيل: أبو عبد الرحمن، شهد العقبة الثانية مع أبيه وهو صبي، وقال بعضهم: شهد بدراً، وقيل: لم يشهدها، وكذلك غزوة أحد، وقيل: شهد مع النبي ﷺ ثمان عشرة غزوة، وشهد صفين مع علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعمي في آخر عمره، وهو آخِرُ من مات بالمدينة ممن شهد العقبة، كان من المكثرين في الحديث الحافظين للسنن.

يُنظر: «أسد الغابة في معرفة الصحابة» لابن الأثير الجزري: برقم (٦٤٧)، و«الأعلام» ٢/١٠٤.

٨٣) أخرجه الحاكم في «المستدرك»: كتاب الجنائز: برقم (١٣٦١).

وأخرجه البيهقي في «شعب الإيمان»: العاشر من شعب الإيمان و هو باب في محبة الله ﷻ: فصل في إدامة ذكر الله ﷻ: برقم (٥٨٥) باختلافٍ يسير.

٨٤) يُنظر: «تاج العروس» (أوه) ٣٦/٣٣١.

وَيُرْوى أنّ أُناساً كانوا يَرْفَعونَ أصْواتَهُمْ بِالذِّكْرِ في زَمَنِ عُمَرَ بْنِ الخَطّابِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عِنْدَ غُروبِ الشَّمسِ فاذا أخْفَضوا أرْسَلَ لَهُمْ: أن ثَوِّروا الذِّكْرَ؛ أي: ارْفَعوا أصْواتَكُمْ بِهِ [٨٥].

فَلا يُنْكِرُ ذَلِكَ إلّا مَنْ هَوىَ بِهِ قَدَمُ الغُرورِ، في مَهْواةٍ مِنَ التَّلَفِ والمَهالِكِ.

لَكِنْ نَقولُ كَما قالَ العارِفُ البوصيريُّ [٨٦] [من البسيط]:

قَدْ تُنْكِرُ العَيْنُ ضَوْءَ الشَّمْسِ مِنَ رَمَدٍ

وَيُنْكِرُ الفَمُّ طَعْمَ الماءِ مِنْ سَقَمِ [٨٧]

---

٨٥) لم أجده، والله تعالى أعلم.

٨٦) محمد بن سعيد بن حماد بن عبد الله الصنهاجي البوصيري المصري، شرف الدين، أبو عبد الله، (٦٠٨ - ٦٩٦ هـ = ١٢١٢ - ١٢٩٦ م) شاعر، حسن الديباجة، مليح المعاني. نسبته إلى «بوصير» من أعمال بني سويف بمصر، وأمه منها، وأصله من المغرب من قلعة حماد من قبيل يعرفون ببني حبنون، ومولده في بهشيم من أعمال البهنساوية، ووفاته بالإسكندرية. له «ديوان شعر» وأشهر شعره «البردة». يُنظر: «الأعلام» ٦/١٣٩.

٨٧) «البردة بشرح الباجوري» ص ١٥٢.

قالَ الأُسْتاذُ الشَّعْراني [٨٨] . مَنَحَنا اللهُ أنْظارَهُ . في كِتابِهِ المُسَمّى «إرْشادَ الطّالبينَ» ناقِلاً عَنْ سَيِّدي إبْراهيمَ:

فإنْ قالَ المُعْتَرِضُ . كَما يُسْمَعُ عَنهُ .: فإنّهُمْ يَقولون في أذْكارِهِمُ الجَهْريّة: «لا إلهَ إلّا اللهُ» وَلَمْ يَقولوا: «مُحَمَّدٌ رَسولُ اللهِ» مَعَها !

فَهذا مَبْلَغُهُ مِنَ العِلْمِ؛ لأنّهُ لا يَفْهَمُ أنّ كَلِمة التَّوْحيدِ مُتَضَمِّنةٌ لَها وَلا صارِفَ كَما يُعْلَمُ عَنْها، وَقَدْ قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: «أُمِرْتُ أنْ أُقاتِلَ النّاسَ حَتّى يَقولوا: «لا إلهَ إلّا اللهُ»، وَلَمْ يَقُلْ: «مُحَمَّدٌ رَسولُ اللهِ»؛ لأنَّ «مُحَمَّدٌ رَسولُ اللهِ» إقْرارٌ بِالرِّسالة فَيَكْفي مَرّة واحِدةً في العُمُرِ [٨٩].

---

٨٨) الشيخ عبد الوهاب بن أحمد بن علي الحنفي الشعراني (٨٩٨ - ٩٧٣ هـ = ١٤٩٣ - ١٥٦٥ م)، له: «الأنوار القدسية في معرفة آداب العبودية»، و «كشف الغمة عن جميع الأمة»، و «لواقح الأنوار في طبقات الأخيار» المعروف بـ «طبقات الشعراني الكبرى»، «الميزان الكبرى»، وكثير غيرُها، توفي في القاهرة عام (٩٧٣ هـ).

يُنظر: «الأعلام» ٤/١٨٠-١٨١، «موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان» ١١/٢٣.

٨٩) قوله ﷺ: «أُمِرْتُ أنْ أُقاتِلَ النّاسَ حتّى يَقولوا: لا إلهَ إلّا اللهُ» ورد في عددٍ من الأحاديث الصحائح.من ذلك:

ما أخرج البخاري في «صحيحه»: كتاب الزكاة: باب وجوب الزكاة: برقم (١٣٩٩) أن أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لما توفي رسول الله ﷺ وكان أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكفر من كفر من العرب فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كيف تقاتل الناس؟ وقد قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله»... الحديث.

و أخرجه مسلم في «صحيحه»: الإيمان: باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله...: برقم (١٢٤).

وما أخرج البخاري في «صحيحه»: كتاب الصلاة: باب فضل استقبال القبلة: برقم (٣٩٢): عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله؛ فإذا قالوها وصلَّوا صلاتنا، واستقبلوا قبلتنا، وذبحوا ذبيحتنا، فقد حرمت علينا دماؤهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله».

ولكن عبارةَ "مُحَمَّدٌ رَسولُ اللهِ" مذكورةٌ فيما أخرج البخاري في «صحيحه»: كتاب الإيمان: باب ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ﴾ [التوبة:٥]: برقم (٢٥) عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله». أخرجه مسلم في «صحيحه»: الإيمان: باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله: برقم (١٢٩).

وإنْ أرادَ أنْ يَحْتَجَّ بِما وَرَدَ في الحديثِ القُدْسي: «آليتُ عَلى نَفْسي أنْ لا أُذْكَرَ حَتّى تُذْكَرَ معي» (٩٠) هذا مَحمولٌ عَلى أنّهُ في أشْرَفِ المواضِعِ وَهي الصَّلاةُ (٩١).

وَقالَ الأُسْتاذُ الشَّعْراني. مَنَحَنا اللهُ أنْظارَهُ. في كِتابِهِ المُسَمّى «إرْشادَ الطّالبينَ» ناقِلاً عَنْ سَيِّدي إبْراهيمَ الذي يَقولُ: مَنْ أوتي مِنَ العِلْمِ مالا يُجِلُّهُ وَيُحَصِّلُ بِهِ الخُشوعَ فَهو لَمْ يُؤْتَ عِلْماً ينتفعُ بِهِ (٩٢).

وَكانَ سَيِّدي عَبْدُ القادِرِ الجيليِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقولُ:

أولى النّاسِ بِالمَقْتِ فَقيهٌ فاجِرٌ كَثيرُ الجِدالِ، لا يَرى غَيْرَ زَعْمِهِ، وَدَعاوى وَهْمِهِ، إنْ تَكَلَّمَ خارَ، وانْ سَكَتَ حار.

---

٩٠) لم أجده بهذا اللفظ، والله أعلم، وقد ورد العديد من الأحاديث عن النبي ﷺ، والآثار عن الصحابة والسلف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في كون النبي يُذكر إذا ذُكر الله تعالى؛ تقصّاها. فأجاد. السيوطي في «الدر المنثور» ١٥/٤٩٧-٥٠٠ تحت قوله تعالى: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤ ﴾ [الشرح:٤]؛ فلتُنظر ثمةَ.

٩١) لا ريبَ؛ إلا أنه ﷺ يُذكَرُ مع الله تعالى في مواضعَ أُخرى أيضاً منها: في الأذان، والإقامة، والتشهد، ويوم الجمعة على المنابر، ويوم الفطر، ويوم الأضحى، وأيام التشريق، ويوم عرفة، وعند الجمار، وعلى الصفا والمروة، وفي خطبة النكاح....

٩٢) «إرْشادَ الطّالبينَ»

وَكانَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يَقولُ: مِنْ عَلامة أنَّ هؤُلاءِ مِنْ أهْلِ الطَّرْدِ عَنْ حَضَراتِ اللهِ أنْ لا تَلينَ جُلودُهُمْ وَقُلوبُهُمْ إلى ذِكْرِ اللهِ.

وَذَكَروا بَيْنَ يَدَيْهِ واحِداً منْ عُلَماءِ عَصْرِهِ وأثْنَوْا عَليهِ فَقالَ: دَعونا مِنْ ذِكْرِ أهْلِ الطّرْدِ. فَقالوا: كَيْفَ يا سَيِّدي. وَهو مِنْ عُلَماءِ المُسْلِمينَ؟ فَقالَ: لَيْسَ لَهُ مِنَ العِلْمِ إلّا الاسمُ. فَقالوا: كَيْفَ؟ فَقالَ: هَلْ رأيْتُمْ مُحِبّاً يَثقُلُ عَلَيهِ تَكْرارُ اسْمِ مَحْبوبِهِ، وَيَضيقُ صَدْرُهُ إذا أُمِرَ بَذَلِكَ؟ فَقالوا: لا، فَقالَ: هؤُلاءِ أشَقُّ ما عَلى الواحِدِ منْهُمْ أنْ يُقالَ لَهُ: اتْرُكْ دَرْسَكَ في النَّحْوِ، أو في اللّفْظِ. أيْ: هذِهِ المَسائِلَ الَّتي لا يُعْرَفُ لَها دَليلٌ مِنَ الكِتابِ وَلا مِنَ السُّنّة. وَتَعال نّذكُرُ اللهَ ﷻ، وَقَدْ قالَ اللهُ تَعالى: «أنا جَليسُ مَنْ ذَكَرَني» (٩٣)، وَكُلُّ مَنْ لَمْ يَقْدِرْ عَلى المُجالَسةِ مَعَ اللهِ تَعالى فَهْوَ مَطْرودٌ عَنْ حَضْرَتِهِ.

فَقالوا: يا سَيِّدي اشْتِغالُهُ بِالعِلْمِ خَيْرٌ عَلى كُلُّ حالٍ!

قالَ: صَحيحٌ، وَلَكِنْ كَلامُنا في أهلِ حَضَراتِ اللهِ ﷻ لا في أهْلِ حَضَراتِ أحْكامِهِ، وَفرْقٌ بَيْنَ مَنْ مَشْهودُهُ أحْكامُ الحَقِّ، وَبيْنَ منْ

---

٩٣) سلف من قبل ص ٥٩ .

مَشْهودُهُ صِفاتُهُ واسْماؤُهُ، فانَّ أحَدَهُمْ يَموتُ وَهْوَ مَعَ أصْحابِ الأحْكام مِنَ الخلْقِ، فلا يْشهَدُ الحَقَّ إلّا عِنْدَ مِوْتِهِ؛ بِخِلافِ مَنَ اشتْغَلَ بِاسْمِ الذّاتِ، فَلا يَزالُ يَذْكُرُ حَتّى يَجتَمِعَ بَصاحِبِ الاسْمِ إذِ الاسْمُ لا يُفارِقُ مُسَمّاهُ؛ بِخِلافِ الأحْكام. اهـ بِتَمامِهِ [٩٤].

٩٤) لم أهتدِ في أيّ كتب الشيخ الجيلاني هذا الكلام، والله تعالى أعلم.
إرشاد الطالبين للشعراني....

السَّماعُ

وأمّا سَماعُ إنْشادِ كَلامِ القَوْمِ فَمَطْلوبٌ لاشْتِمالِهِ عَلى حِكَمٍ، وَمَواعِظَ.

وَقَدْ قالَ ﷺ: «إنّ مِنَ الشِّعْرِ لَحِكْمة» (٩٥).

وَرُوِيَ أنَّ النَّبيَّ ﷺ سَمِعَهُ وَتَمايَلَ بِهِ تَرَوُّحاً (٩٦).

وأمَرَ حَسّاناً بِهِ، وَقالَ: «اللّهُمَّ أيِّدْهُ بروحِ القُدُسِ» (٩٧).

---

٩٥) أخرجه بهذا اللفظ ابن ماجه في «سننه»: كتاب الأدب: باب الشعر: برقم (٣٧٥٥) من حديث أبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقد أخرجه من حديث أبيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ البخاريُّ في «صحيحه»: كتاب الأدب: باب ما يجوز من الشعر والرجز والحُداء وما يُكره منه: برقم (١٠٧٢) دون اللام.

وأخرجه أبو داود في «سننه»: الأدب: باب ما جاء فى الشعر: برقم (٥٠١٠).

وأخرجه الترمذي في «جامعه»: كتاب الأدب عن رسول الله ﷺ: باب ما جاء إن من الشعر حكمة: برقم (٢٨٤٤).

٩٦) يقصد المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ ما سلفُ من قبلُ ص من ذكرِ تواجده ﷺ وقوله: «لَيْسَ بِكَريمٍ مَنْ لَمْ يَهْتَزَّ عِنْدَ ذِكْرِ الحَبيبِ»، وقد بان حال هذه الرواية.

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: كانَ أبو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذا نَظَرَ رَسولُ اللهِ ﷺ مُقْبِلاً يَقولُ [من الوافر]:

أمينٌ مُصْطَفى لِلخَيْرِ يَدْعو كَبَدْرِ الضَّوءِ زايَلَهُ الغَمامُ (٩٨)

---

٩٧) أخرج البخاري في «صحيحه»: كتاب الصلاة: باب الشعر في المسجد: برقم (٤٥٣) عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف: أنه سمع حسان بن ثابت الأنصاري يستشهد أبا هريرة: أنشُدُك اللهَ هل سمعت النبي ﷺ يقول: «يا حسانُ، أجِبْ عن رسول الله ﷺ، اللّٰهم أيِّدْه بروح القدس» ؟. قال أبو هريرة: نعم.

وأخرجه مسلم في «صحيحه»: فضائل الصحابة: باب فضائل حسان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: برقم (٢٠٦٣).

٩٨) ذكره البيهقي في «دلائل النبوة» عقب الحديث برقم (٣٣٨) عن عائشة في صفة النبي ﷺ أوصافاً كثيرة للنبي ﷺ منها:

قال : وكانوا يقولون : هو ﷺ كما وصفه صاحبه أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

أمين مصطفى للخير يدعو = كضوء البدر زايله الظلامُ

وعنه ابن عساكر في «تاريخ مدينة دمشق» ٣/٣٥٦.

وقال الصالحي في «سبل الهدى والرشاد» ١٢/٢٧٦-٢٧٧: وقال أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. فيما ذكره ابن سعد. يرثيه ﷺ:

أجدك ما لعينك لا تنام = كأن جفونها فيها كِلاُم

قالَ القُرْطُبي [٩٩]:

واذا كانَ رَسولُ اللهِ ﷺ يَسْتَمِعُ، وأبو بَكْرٍ يُنْشِدُ؛ فَهلْ للتَّقليدِ مَوْضِعٌ أرْفَعُ مِنْ هذا المَوْضِعِ؟ اه [١٠٠].

وَفي «فَتاوى الأُسْتاذِ الخَليلي»:

وأمّا إنْشادُ الأشْعارِ في المسْجِدِ فَلَوْ لَمْ يَكُنْ إلّا حَديثُ كَعْبٍ وَقَصيدَتُهُ المَشْهورة وإشارَتُهُ ﷺ لِلْخَلْق: أنِ اسْمَعوا؛ لَكَفى [١٠١]!

وذكرَ قصيدة؛ إلا أني لم أجدها في «طبقات ابن سعد»؛ ولعله السبب الذي يبرر ذكْرَ التاج السبكي حديث شعرالصّديق فيه ﷺ في الفصل الذي جمع فيه جميع ما في كتاب الإحياء من الأحاديث التي لم يجد لها إسناداً في «طبقات الشافعية الكبرى» ٦/٣٢٩.

٩٩) شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي، أبو عبد الله، (... - ٦٧١ هـ = ... - ١٢٧٣ م) من كبار المفسرين، رحل إلى الشرق واستقر في شمالي أسيوط بمصر، وتوفي فيها. أشهرُ كتبه التي تدل على غزارة علمه: «الجامع لأحكام القرآن»، وله «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»، و«التذكرة بأحوال الموتى وأحوال الآخرة»، و«قمع الحرص بالزهد والقناعة». يُنظر: «الأعلام» للزركلي ٥/٣٢٢..

١٠٠) «الجامع لأحكام القرآن» ١٦/٨٩ باختلافٍ يسير في الألفاظ.

١٠١) كعب بن زهير بن أبي سلمى. واسم أبي سلمى : ربيعة. المازني، أبو المضرب (... - ٢٦ هـ = ... - ٦٤٥ م)، له صحبة شاعر عالي الطبقة، من أهل نجد، من أعرق الناس في

وَقَدْ ثَبَتَ بِالنُّصوصِ الصَّحيحة الغِناءُ في بَيْتِهِ ﷺ، وَضَرْبُ الدُّفِّ في حَضْرَتِهِ، وَرَقْصُ الحُبوشِ في مَسْجِدِهِ (١٠٢)، وإنْشادُ الشِّعْرِ بِالأصواتِ الطَّيِّبة بَيْنَ يَدَيْهِ (١٠٣).

الشعر: أبوه زهير بن أبي سلمى، وأخوه بجير، وابنه عقبة وحفيده العوام، كلهم شعراءُ؛ كان ممن اشتهر في الجاهلية. خرج كعب وأخوه بجير ابنا زهير إلى رسول الله ﷺ، فأسلم بجير، وأبى كعبٌ، وهجا النبيَّ ر، وأقام يشبب بنساء المسلمين، فهدر النبي ﷺ دمَه، فجاءه كعب مسلماً مستأمناً، وأنشده لاميته المشهورة التي مطلعها: "بانت سعاد فقلبي اليوم متبولُ". فلما بلغ قوله [من البسيط]:

إن الرسول لسيف يستضاء به = مهند من سيوف الله مسلولُ

أنبئت أن رسول الله أوعدني = والعفو عند رسول الله مأمولُ

فأشار رسول الله ﷺ إلى من معه: «أن اسمعوا» حتى أنشده القصيدة، وعفا عنه النبي ﷺ وخلع عليه بردته.

يُنظر: «أسد الغابة» برقم (٤٤٦٤)، «الأعلام» ٥/٢٢٦.

١٠٢) انظر ما سيأتي من حديثَي عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ص ١٣١-١٣٢.

١٠٣) من ذلك ما سلف ص من إنشاد حسانَ بن ثابتٍ الشعر في مسجده ﷺ، وسماعه ﷺ شعر كعب بن زهير.

وأخرج الترمذي في «جامعه»: كتاب الأدب عن رسول الله ﷺ: باب ما جاء في إنشاد الشعر: برقم (٢٨٥٠) عن جابر بن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جالست النبي ﷺ أكثر

وَكانَ ﷺ مَعَ أصْحابِهِ مَكانَ المائِدةِ يَتَحَلَّقونَ حَلْقة دونَ حَلْقة فَيَلْتَفِتُ إلى هؤُلاءِ والى هؤُلاءِ[١٠٤] اهـ. [١٠٥].

وَمِمّا يُؤَيِّدُ كُلَّ ما ذُكِرَ ما قالَهُ العَلّامة ابْنُ حَجَرٍ [١٠٦] نَزيلُ مَكّة المُشَرَّفة في رِسالَتِهِ الّتي نَقَلَها عَنْ بَعْضِ الثِّقاتِ [١٠٧] بِما صورَتُهُ:

من مئة مرة فكان أصحابه يتناشدون الشعر، ويتذاكرون أشياءَ من أمر الجاهلية، وهو ساكتٌ فربّما تبسّم معهم.

وقد جمع الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد بن علي المقدسي (٦٠٠هـ) جزءاً أسماه «أحاديث الشعر» روى فيه بأسانيده كثيراً من الأحاديث التي تتعلق بكلام النبي ﷺ عن الشعر، وسماعه ﷺ له.

١٠٤) وصف كونه ﷺ في أصحابه مكان المائدة جاء في قصة كعب بن زهير نفسِها فيما أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة»: باب ما جاء في قدوم كعب بن زهير على النبي ﷺ بعد ما رجع إلى المدينة زمن الفتح: ٥/٢٠٨ وفيها: ... ثم دخل المسجد ورسول الله ﷺ مع أصحابه مكانَ المائدة من القوم، والقوم متحلّقون معه حلقة دون حلقة، يلتفت إلى هؤلاء مرة فيحدثهم، وإلى هؤلاء مرة فيحدثهم، قال كعب: فأنختُ راحلتي بباب المسجد، ثم دخلت المسجد... القصةَ.

١٠٥) «فتاوى الخليلي» ٢/٢٦٣.

١٠٦) شهاب الدين أحمد بن محمد بن علي بن حجر. بكسرِ فسكون. الهيتمي. بالتاء المثناة. السعدي الأنصاري الشافعيّ، (٩٠٩ - ٩٧٤ هـ = ١٥٠٤ - ١٥٦٧ م) له كثيرٌ من

بسم الله الرحمن الرحيم، وَبِهِ أَسْتَعِينُ

الحَمْدُ للهِ وَحْدَهُ، وَهذا ما كتَبَهُ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ حَجَرٍ نَزيلُ مَكَّةَ المُشَرَّفة.

ما قَوْلُ السّادة مِنَ المُسْلِمينَ المُحَقِّقينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعينَ في جَوابِ مَنْ يَذْكُرونَ اللهَ قياماً وَقُعوداً بِأَنْغامِ الموسيقى والتَّمَطُّطِ، وإظْهارِ ياءٍ بَيْنَ هَمْزة لا وألِفِ إلهَ، وَمَدِّ الهاءِ مِنْ إلهَ، وَيَقولونَ: ها وَهو وَهي، وَيَذْكُرونَ بِالحَلْقِ. وَهْوَ حَرْفُ الحاءِ. بِأَنْ يَقولوا: حَيْ، وَيَرْقُصونَ بَعْضَ الأحْيانِ بِالتَّواجُدِ والوَثَباتِ، وَيَغيبونَ عَنْ إدْراكِهِمْ، وَيَقَعونَ عَلى الأرْضِ وَيُنشِدونَ الأشْعارَ، وأصْنافَ الكَلامِ المُطْرِبِ المُهَيِّجِ المُحَرِّكِ الأنْفُسَ لِلنّشاطِ، وَغَيْرِ ذلِكَ مِمّا يتَعَلّقُ بِحالِ المُرْشِدينَ مِنْ أهْلِ الطّريقِ

المصنفات منها: «الصواعق المحرقة على أهل البدع والضلال والزندقة»، و«تحفة المحتاج لشرح المنهاج» في فقه الشافعية، و«الخيرات الحسان في مناقب أبي حنيفة النعمان»، و«الفتاوي الهيتمية»، وعديدٌ سواها. يُنظر: «الأعلام» ١/٢٣٤.

١٠٧) كذا، ولعلها «في رسالته التي نقلها عنه بعضُ الثقات».

ولم يُسمّ المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ الرسالةَ، ولا من نقلها، ومن نظر فيها وجدها تخالف ما يذهب إليه الهيتمي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه الشهير «كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع»، والله أعلم.

عُمومُاً وَخُصوصُاً، هَلْ هو حَرامٌ أمْ لا؟ أَلِهذا أصْلٌ في الكِتابِ والسُّنّة؟ وَهَلْ يَجوزُ سَبُّ مَشائخِ الطّريقِ؟.

الجَوابُ:

كَتَبَ شَيْخُ الإسلام شِهابُ الدّينِ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَه الله تَعالى يَقولُ:

الحمْدُ للهِ رَبِّ العالَمينَ، وَصَلّى اللهُ عَلى سَيِّدنا مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ واصْحابِهِ أجْمَعينَ.

اللّهُمَّ هِداية ! الذِّكْرُ بِجَميعِ هذِهِ الأنْواعِ جائِزٌ بِـ أئيلَ والاها؛ لِوُرودِ الشّرْعِ بِهِ؛ لأنَّ إيلَ اسْمُ الرَّحمَنِ، وَلاها اسْمُ المَحْجوبِ، وَلا يَلْزَمُ ذِكْرُ لا إلهَ إلّا اللهُ وَمَعَها مُحَمَّدٌ رَسولُ اللهِ إلّا في الشَّهادَتَيْنِ وَفي الأذانِ وَفي التّشَهُّدِ.

وَيَجوزُ الذِّكْرُ بِـ «ها» وَ«هو» وَ«هي»، وَبِغَيْرِ العَرَبيةِ، وَبِالقَلْبِ والحَلْقِ؛ وَيَجوزُ بِحَرْفٍ واحِدٍ كَما في أوائِلِ السّورِ كَ «ك» وَ«ه» وَ«ي» وَ«ع» وَ«ص».

وَيَجوزُ الذِّكْرُ بِأسْماءِ اللهِ طُرّاً بِأنْ يَقولَ: «لا رَحْمنَ إلّا اللهُ» إلى آخِرِ أسْماءِ اللهِ الحُسْنى، وَبِاسْمٍ مُفْرَدٍ، وَباللِّسانِ والقَلْبِ والجَنانِ.

وَيَجوزُ الرَّقصُ بِدَليلِ فِعْلِ الحَبَشِة في المسْجِدِ بَيْنَ يَدَيْ رَسولُ اللهِ ﷺ وَرَقْصِهِمْ بِالوَثَباتِ. والوَجْدُ حَصَلَ لِعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَتّى غابَ عَنْ إدْراكِهِ (١٠٨).

وإنْشادُ الشِّعْرِ وَغَيْرُهُ جائِزٌ بِلا إنْكارٍ، وَكانَتِ الصَّحابة رَضيَ اللهُ تَعالى عَنْهُمْ يَتَناشَدونَ بَيْنَ يَدَيْ رَسولِ اللهِ ﷺ ولَمْ يُنْكِرْ يَوْم العيدِ عَلى الغناءِ.

وأصْلُ هَذِهِ الطّريقِ مِنَ الكِتابِ والسُّنّة، وَسَبُّ المَشايخِ إهانة في الدّينِ وَكُفْرٌ شرْعُاً وَعَقْلاً، واللهُ تَبارَكَ وَتَعالى أعلَمُ بِالصَّوابِ.

---

١٠٨) لم أجده والله تعالى أعلم !

قالَ الغَزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فَقدْ حَكى أبو بَكْرٍ محمَّدُ بنُ داودَ الدِّيْنوَري المعْروفُ بالرُّقي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ [١٠٩] قالَ: كُنْتُ في البادية فوافَيْتُ قَبيلة مِنْ قَبائِلِ العَرَبِ، فأضافَني رَجُلٌ مِنْهُمْ وادْخَلَني خِباءَهُ، فَرايْتُ في الخِباءِ عَبْداً أسْوَدَ مُقَيَّداً بِقَيْدٍ، وَرأيْتُ جِمالاً قَدْ ماتَتْ بَيْنَ يَدَيِ البَيْتِ، وَقَدْ بَقيَ مِنْها جَمَلٌ، وَهو ناحِلٌ ذابِلٌ كأنّهُ يَنْزِعُ روحَهُ، فقالَ لي الغُلامُ: أنْتَ ضَيْفٌ، وَلَكَ حَقٌّ فَتَشَفَّعْ في إلى مَوْلايَ فإنَّهُ مُكْرِمٌ لِضَيفِهِ، فَلا يَرُدُّ شفاعَتَكَ في هذا القَدْرِ فَعَساهُ يَحُلُّ القَيْدَ عَنّي. قالَ: فَلَمّا أحْضَروا الطَّعامَ امْتَنَعْتُ وَقُلْتُ: لا آكُلُ ما لَمْ أشْفَعْ في هذا العَبْدِ. فقالَ: إنّ هذا العَبْدِ قَدْ أفْقَرَني، وأهْلَكَ جَميعَ مالي. فَقُلْتُ: ماذا فَعَلَ؟ فقالَ: إنَّ لَهُ صَوْتاً طَيِّباً، وانّي كُنْتُ أعيشُ مِنْ ظُهورِ هذِهِ الجِمالِ، فَحمَّلَها أحْمالاً ثِقالاً، وَكانَ يَحْدو لَها حَتى قَطَعَتْ مَسيرة ثَلاثة أيّامٍ في لَيْلة واحدة مِنْ طيبِ نَغَمَتِهِ، فَلَمّا حَطَّتْ أحْمالها، ماتَتْ كُلُّها إلّا هذا الجملَ الواحِدَ، وَلكِنْ أنتَ ضَيْفي، فَلِكَرامَتِكَ قَدْ

---

١٠٩) قال الزبيدي في «إتحاف السادة المتقين» ٦/٤٨٤: من كبار العارفين أصحاب الأحوال، أقام بالشام، وعاش أكثر من مئة سنة، مات بعد الخمسي وثلاث مئة، صحب ابن الجلاء والدقاق.

وَهَبْتُهُ لَكَ، فأحبَبْتُ أنْ أسَمعَ صَوْتَهُ، فَلَمّا أصْبَحْنا أمَرَتُه أن يَحْدو على جَمَلٍ يَسْتَقي الماءَ منْ بِئْرٍ هُناكَ فَلَمّا رَفَعَ صَوْتَهُ هامَ ذَلكَ الجملُ وَقَطَّعَ حِبالَهُ، وَوَقَعْتُ أنا عَلى وَجْهي، فَما أظُنُّ أنّي سَمِعْتُ قَطُّ صَوْتاً أطيَبَ مِنْهُ.

فإذاً تأثيرُ السَّماعِ في القَلْبِ مَحْسوسٌ، وَمَنْ لَمْ يُحَرِّكْهُ السَّماعُ فَهو ناقِصُ العَقلِ مائلٌ عَنِ الِاعْتِدالِ بَعيدٌ عَنِ الرّوحانيّة، زائِدٌ في غِلَظِ الطَّبْعِ وَكَثافَتِهِ عَلى الجِمالِ والطُّيورِ، بَلْ عَلى جَميعِ البَهائمِ، فإنّ جَميعَها تَتأثّرُ بِالنَّغَماتِ المَوْزونة، وَلِذَلِكَ كانَتِ الطُّيورُ تَقِفُ على راسِ داودَ عَلَيْهِ السَّلامُ لْاسْتِماعِ صَوْتِهِ. اهـ بالحَرْفِ الواحِدِ مِنَ «الإحْياءِ» (١١٠).

قالَ في «المواهِبِ اللّدُنّيةِ» ـ في أواخِرِ المَقْصِدِ التّاسعِ بَعْدَ أنْ ذَكَرَ كَلاماً طَويلاً مَعَ تَلْخيصٍ ما حَكاهُ الغَزالي عَنِ الدِّيْنَوَري ـ:

فَتأثيرُ السَّماعِ مَحْسوسٌ، وَمَنْ لَمْ يُحَرِّكْهُ فَهْوَ فاسِدُ المزاجِ، بَعيدُ الصَّلاحِ، زائِدٌ في غِلَظِ الطَّبْعِ وَكَثافَتِهِ على الجِمالِ، واذا كانَتْ هذِهِ البَهائمُ تَتأثّرُ بِالنَّغَماتِ فَتأثيرُ النُّفوسِ الإنْسانيةِ أولى [من الوافر]:

نَعَمْ لَوْلاكَ ما ذُكِرَ العقيقُ ولا جَابَتْ لهُ الفَلَواتِ نوقُ

---

(١١٠) «إحياء علوم الدين» ٢/٢٤٨.

نَعَمْ أسْعى اليْكَ على جُفوني تَدانى الحَيُّ أو بَعُدَ الطَّريقُ

إذا كانَتْ تَحِنُّ لَكَ المَطايا فَماذا يَفعلُ الصَّبُّ المَشوقُ [١١١]

فَزُبْدة السَّماعِ تَلْطيفُ السِّرِّ، وَمِنْ ثَمَّ وَضَعَ العارِفُ الكَبيْرُ سَيِّدي عليٌّ العُرْقُسوسي المشْهورُ [١١٢] حِزْبَهُ على الألحانِ والأوزانِ اللَّطيفة؛ تَنْشيطاً لِقلوبِ المُريدينِ، وَتَرْويحاً لأسْرارِ السّالِكينَ؛ فإنَّ النُّفوسَ ـ كما قَدَّمْنا ـ لها حَظٌّ مِنَ الألحانِ، فإذا قَبِلَتْ هذِهِ الوارِداتِ السَّنيةَ، الفائِضة مِنَ المَوارِدِ النَّبَويةِ المُحَمَّديةِ، بهذِهِ النَّغَماتِ الفائِقة، والأوزانِ الرّائِقة، شَرِبَتْها العُروقُ، وأخَذَ كَلُّ عَضْوٍ نَصيبَهُ مِنْ ذَلِكَ المَدَدِ الوَفي المُحَمَّدي، فأثمرَتْ شَجَرة حَظِّكَ الأولِ بِما سُقيَتْهُ مِنْ مَوارِدِ هذِهِ اللَّطائِفِ [١١٣] عَوارِف المَعارِفِ.

---

١١١) ذكر هذه الأبيات لسان الدين ابن الخطيب في «روضة التعريف بالحب الشريف» ص ٢٦٩.

١١٢) لم أهتدِ إلى ترجمةٍ له، والله أعلم.

١١٣) زِيدَ في هذا الموضع «. اهـ مِنْ» وهو خطأٌ لا ريبَ فيه.

[تنبيه:] [١١٤] زَعَمَ بَعضُهُمْ أنَّ السَّماعَ أوعى لِلْواجِدِ مِنَ القُرْآنِ، وأظْهَرُ تأثيراً، والحُجّة عَلَىَ ذَلِكَ أنَّ جَلالَ القُرْآنِ لا تَحْتَمِلُهُ القوةُ البَشَريةُ المُحَمَّديةُ، وَلا تحْتَمِلهُ الصِّفاتُ المَخْلوقة، وَلَوْ كُشِفَ للْقُلوبِ ذَرّة مِنْ مَعْناهُ لَدُهِشَتْ وَتَصَدَّعَتْ وَتحيَّرَتْ، والألحانُ الطَّيِّبة مَناسِبة لِلطِّباعِ، وَنِسْبَتُها نِسْبة الحُظوظِ، لا نِسبة الحُقوقِ، والشَّعرُ نِسْبتُهُ نِسبة الحُظوظِ، فإذا عَلِقَتِ الألحانُ والأصْواتُ بما في الأبْياتِ مِنَ الإشاراتِ واللّطائِفِ، شاكَلَ بَعضُها بَعْضاً، فَكانَ أقْرَبَ إلى الحُظوظِ، وأخَفَّ على القُلوبِ لمُشاكلة المَخْلوقِ. قالَه أبو نَصْرٍ السَّرّاجُ [١١٥]. اهـ [١١٦].

---

١١٤) زيادة من «المواهب اللدنية».

عبد الله بن علي بن محمد بن يحيى السراج الطوسي، أبو نصر (... - ٣٧٨ هـ = ... - ٩٨٨ م)، طاوس الفقراء . كان شيخ الصوفية، على طريقة السنةوكانت له أحوال حسنة راسخ القدم في علوم الشرع والتصوف، له: «اللُّمع» في التصوف، «الملح».

يُنظر: «الأعلام» للزركلي ٤/١٠٤، «موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان» ٢٢/١٦٤-١٦٥.

١١٥) عبد الله بن علي بن محمد بن يحيى السراج الطوسي، أبو نصر (... - ٣٧٨ هـ = ... - ٩٨٨ م)، طاوس الفقراء .

وأمّا مُذاكَرة الإخْوانِ فَمطلوبة، وَسُنّة حَميدة مَرْغوبة لما فيها مِنَ التَّناصُحِ المُيَقِّظِ لْلقُلوبِ المُشَوِّقِ لها لِلِقاءِ المَحْبوبِ، وَهي خاصّة بِالشّيخِ إنْ كانَ حاضِراً، وألّا فَمأذونِهِ . أيْ: نائِبِهِ . وإلّا فَلِلإخْوانِ أنْ يُحَدِّثَ كُلٌّ بِما فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ.

وَمَحَلُّها بَعْدَ انْتِهاءِ الذِّكْرِ والأورادِ والدَّعَواتِ.

وَهي شَرْطٌ عِندَ القَوْمِ؛ لَما فيها مِنَ الأمْرِ بِالمعْروفِ والنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ، والتَّرْغيبِ في اللهِ تَعالى، وَلا يَخْفى عَلى مَنْ عِنْدَهُ أدْنى إلمامٍ أنَّ لِهذا الأمْرِ أصْلاً مِنَ الكتابِ والسُّنّة؛ قالَ تَعالى: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٥]، ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾

كان شيخ الصوفية على طريقة السنة راسخ القدم في علوم الشرع والتصوف، وكانت له أحوال حسنة، له: «اللُّمع» في التصوف، «الملح».

يُنظر: «الأعلام» للزركلي ٤/١٠٤، «موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان» ٢٢/١٦٤-١٦٥.

١١٦) كان السياق في الأصل: «وأخَفَّ على القُلوبِ لمُشاكلة المَخْلوقِ. اه .قالَ أبو نَصْرٍ السَّرّاجُ: وأمّا مُذاكَرة الإخْوانِ فَمطلوبة.... »، وهو خطأ؛ والتصحيح من «المواهب اللدنية بالمنح الأحمدية» للقسطلاني ٤/٥٠٤-٥٠٤.

سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [الأعلى: ٩ - ١٠]، ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾﴾ [الغاشية: ٢١] وَفي ذَلِكَ كَثيرٌ مِنَ الآياتِ.

وأمّا الأخْبارُ، فقَدْ قالَ ﷺ: «خُيْرُكُمْ مَنْ ذَكَّرَكُمُ اللهَ» (١١٧).

وَفي الأمْرِ بِالمَعْروفِ، والنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ ما لا يوجَدُ تَحْتَ حَصْرٍ مِنَ الآياتِ والأخْبارِ والآثارِ، فَلا حاجة لِذِكْرِها؛ إذِ المَقْصِدُ الاخْتِصارُ لِتَسْهيلِ المَطالَعةِ.

وَحينَئذٍ فَلْيَعلَمِ الموافقُ والتّالي أنَّ الطَّريقة وَما اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنْ أخْذِ العَهْدِ والتَّلقْينِ وَمَعْرفة الشَّيْخِ والآدابِ مَعَهُ، وَمَعَ الإخْوانِ والعامّة، والذِّكْرِ بِالسِّرِّ والجَهْرِ بِرَفْعِ الصَّوتِ، وإنْشادِ كَلامِ القَوْمِ والمُذاكَرة جَميعاً، مُؤَيَّدٌ بِالكِتابِ والسُّنّة، نَقْلاً وَرِواية، كما يُؤْخَذُ مِمّا

---

١١٧) الحديث في خير الجلساء؛ اخرجه أبو يعلى في «مسنده» برقم (٢٤٣٧) عن ابن عباس قال: قيل: يا رسول الله، أي جلسائنا خير؟ قال: «من ذكّركم اللهَ رؤيتُه، وزاد في علمكم منطقُه، وذكّركم بالآخرة عملُه». وقال محقق «المسند»: إسناده لين. وأخرج أبو نعيم في «حلية الأولياء» ٧/٤٦ بإسناده إلى سفيان الثوري قال: قال عيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ: تقربوا الى الله ببغض أهل المعاصي، والتمسوا رضوانه بالتباعد منهم. قالوا: فمن نُجالس؟ قال: من تُذكّركم بالله رؤيتُه، ويرغبكم في الآخرة عملُه، ويزيد في علمكم منطقه.

تَقَدَّمَ؛ فَلا عِبْرة بِاعْتراضِ كلِّ غُمْرٍ ساوى بَيْنَ ظُلْمة اللَّيْلِ وَساعةِ القَدْرِ.

قالَ تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج: ٤٦].

فأمّا مَقالَتُهُ الكائِنة النّاشِئة عَنْ آرائِهِ الفاسِدة أنّها تعْتبرُ الأزْمِنة والأمْكِنة والأشْخاصُ، وَجَوابي لَهُ أنّ رَبَّ الأولينَ هو رَبُّ الآخِرينَ، وَقَدْ طَلَبَهُ الأولونَ فأعْطاهُمْ.

فَما المانعُ إذاً إنْ طَلَبَهُ الآخِرونَ أنْ يُعْطيهُمْ؟

أهَلْ قَوْلُهُ تَعالى: ﴿ادْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ﴾ [غافر: ٦٠] مُقَيَّدٌ بِمَنْ تَقَدَّمَ؟ أو ما صَحَّ «مَنْ أتاني يَمْشي أتَيْتُهُ هَرْوَلة» (١١٨).

---

١١٨) قطعةٌ من حديثٍ قدسيٍّ جليل أخرجه البخاري في «صحيحه»: كتاب التوحيد: باب قول الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨]: برقم (٧٤٠٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: «يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني؛ فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرتُه في ملأ خير منهم، وإن تقرّب إلي شبراً تقرّبتُ إليه ذراعاً، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولةً».

وَقَدْ قالَ ﷺ: «مَنْ أَخْلَصَ للهِ أَرْبَعينَ يَوْماً تَفَجَّرَتْ ينابيعُ الحِكْمة في قَلبِهِ» (١١٩)، فهْوَ حَديثٌ مُطْلَقٌ لِلأولينَ والآخِرينَ.

وَقال ﷺ: «لا تَزالُ طائِفة مِنْ أُمَّتي ظاهِرينَ عَلى الحَقِّ حَتّى تَقومَ السّاعة» (١٢٠)، وَفي رِواية «حَتّى يَجيءَ أَمْرُ اللهِ» (١٢١).

وأخرجه مسلم في «صحيحه»: الذكر والدعاء والتوبة: باب الحث على ذكر الله تعالى: برقم (٦٨٠٥).

١١٩) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» ٥/١٨٩ عن مكحول؛ عن أبي أيوب الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً، ولفظه: «من أخلص لله تعالى أربعين يوماً ظهرت ينابيعُ الحكمة على لسانه». قال في «كشف الخفا» برقم (٢٣٦١): بإسناد ضعيف. وأخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف»: كتاب الزهد: ما ذكر في زهد الأنبياء عليهم السلام وكلامهم: ما ذكر عن نبينا ﷺ في الزهد: برقم (٣٥٣٤٧) عن مكحول، قال : بلغني أن رسول الله ﷺ قال: ما أخلص عبد أربعين صباحاً إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه».

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» ٧/٢٨٧عن سفيان بن عيينة: ما أخلص عبد لله أربعين يوماً إلا أنبت الله الحكمة في قلبه نباتاً، وأنطق لسانه بها، وبصّره عيوبَ الدنيا داءَها ودواءها.

١٢٠) أخرجه . بهذا اللفظ . الحاكم في «المستدرك»: برقم (٨٣٨٩) من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه، ووافقه الذهبي على تصحيحه.

وَقالَ ابْنُ عَطاءِ اللهِ السَّكَنْدَري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ [١٢٢]:

إذا رأيْتَ عَبْداً أقامَهُ اللهُ تَعالى بِوُجودِ الأورادِ، وأدامَهُ عَلَيْها مَعَ طولِ الإمْدادِ، فَلا تَسْتَحْقِرَنَّ ما مَنَحَهُ مَوْلاهُ. اهـ [١٢٣].

فإنْ غَلَبَتْ عَلى هذا الأُسْتاذِ النَّفْسُ؛ كَما وَقَعَ لِغَيْرِهِ بِالأمْسِ؛ وَقالَ: إنّ لِهذِهِ العِصابة باطِناً خِلافَ ما يُظْهِرُونَ.

أقولُ:

وبهذا اللفظ أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» ٢٠/(٩٦١) من حديث المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

١٢١) لم أجده بلفظ «حتى يجيء»، وللحديث رواياتٌ وأسانيدُ مختلفة في الصحيحين وغيرِهما من أحاديث جمع من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

١٢٢) أحمد بن محمد بن عبد الكريم ابن عطاء الله السكندري الشاذلي، تاج الدين، أبو الفضل، (... - ٧٠٩ هـ = ... - ١٣٠٩ م). كان زاهداً متكلماً بالإشارات، ولكلامه حلاوة خاصة في النفوس، له: «الحكم العطائية»، و«تاج العروس»، و«لطائف المنن في مناقب المرسي وأبي الحسن»، «مفتاح الفلاح في ذكر الله الكريم الفتاح»، «التنوير في إسقاط التدبير»، توفي بالقاهرة. يُنظر: «الأعلام» ١/٢٢١، «موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان» ٢٢/١٥٣.

١٢٣) هذه الحكمة (٦٧) من حكم ابن عطاء الله؛ يُنظر «إيقاظ الهمم بشرح الحكم» لابن عجيبة ص ١٨٠.

إنّ أعْمالَ القُلوبِ مَوْكولة إلى اللهِ تَعالى مِنْ قَبْلِ أنْ يَكونَ، وإنْ قالَ: أحَطْتُ بِعِلْمِ اللهِ فَقَدْ كَذَبَ وَتَجَرّأ عَلى اللهِ؛ قالَ تَعالى لِنَبيهِ وَمُصْطَفاهُ ﷺ: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء: ٨٥].

وإنْ قالَ: لَمْ أُحِطْ، فَحينَئِذٍ ما بِباطِنِ هذِهِ السّادة مِنَ العِلْمِ الّذي لا يَعْلَمُهُ؟ واذا كانَ الحالُ كَذَلِكَ فأيُّ مُسَوِّغٍ جَوَّزَ لَهُ سوءَ الظّنِّ مَعَ الغيبة لأوليائهِ تَعالى مَعَ دُخولِهِ فيما وَرَدَ عَنْهُ تَعالى «مَنْ آذى لي وَليّاً فَقَدْ بارَزَني بِالْمُحارَبةِ» (١٢٤)، وَقَدْ قالَ تَعالى: ﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الأنفال: ٣٤]، وَطَريقُهُمْ هي عَلى التّقْوى، وَلِلْوُصولِ لاشَكَّ أنّها السَّبَبُ الأقْوى. اهـ.

---

١٢٤) لم أجده بهذا اللفظ، وقد أخرج الطبراني في «المعجم الأوسط» برقم (٦٠٩) عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ، عن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، عن الله تعالى: «من أهان لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة».

والصحيحُ المشتَهر ما أخرج البخاري في «صحيحه»: كتاب الرقاق: باب التواضع: برقم (٦٥٠٢) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله قال من عادى لي ولياً فقد آذنتُه بالحرب.....» الحديثَ.

حَمْلُ العَصا

وأمّا حَمْلُهُمُ العَصا فَلا خَفاءَ أنّها سُنّةُ الأنْبياءِ، وَشِعارُ الصُّلَحاءِ، وَقَدْ تَوَكّأ رَسولُ اللهِ ﷺ عَلى العَصا.

قالَ في الشِّفاءِ عَنْ أبي مَرْزوقٍ (١٢٥)، عَنْ أبي غالِبٍ (١٢٦)، عَنْ أبي أُمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١٢٧) قالَ: خَرَجَ عَلَيْنا رَسولُ اللهِ ﷺ مَتَوَكِّئاً عَلى

---

١٢٥) ترجم له الحافظ ابن حجر في «تقريب التهذيب» برقم (٨٣٥٣) قال: أبو مرزوق، عن أبي غالب، عن أبي أمامة؛ ليّنٌ من السادسة، ولا يُعرَفُ اسمُه. د ق.

١٢٦) ترجم له الحافظ ابن حجر في «تقريب التهذيب» برقم (٨٢٩٨) قال: أبو غالب، صاحب أبي أمامة، بصريٌّ نزل أصبهان، قيل: اسمُهُ حزور، وقيل: سعيد بن الحزور، وقيل: نافع؛ صدوق يخطئُ، من الخامسة. بخ ٤. ا.هـ .

١٢٧) أبو أمامة صُدَيُّ بن عجلان بن الحارث الباهلي، (...- ٨١ هـ=- ٧٠٠ م)، قيل: شهد أُحُداً، سكن مصر، ثم حمص، وكان آخر الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بها موتاً بالشام. يُنظر: «أسد الغابة في معرفة الصحابة»: برقم (٢٤٩٧) و (٥٦٩٥)، و«الأعلام» ٣/٢٠٣.

عَصاهُ، فَقُمنا لَهُ، فَقالَ: «لا تَقوموا كَما تَقومُ الأعاجِمُ؛ يُعَظِّمُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً» (١٢٨).

وَقالَ: «إنّما أنا عَبْدٌ آكُلُ كَما يأكُلُ العَبْدُ، وأجلِسُ كَما يَجْلِسُ العَبْدُ» (١٢٩). اهـ (١٣٠).

وَفي «حَواشْي الطّوخي عَلى مَراقِي الفَلاح» تَسْميةُ العَصا بِالمِخْصَرِ، واسْتَدَلَّ لِذَلِكَ بِقَوْلِهِ ﷺ لأبي أنَسٍ (١٣١). وَقَدْ أعْطاهُ عَصاهُ .: «تَخَصَّرْ بِها؛ فإنَّ المُتَخَصِّرينَ في الجَنّة». اهـ (١٣٢).

---

١٢٨) أخرجه أبو داود في «سننه»: الأدب: باب في قيام الرجل للرجل: برقم (٥٢٣٠). وأخرجه الإمام أحمد في «مسنده» برقم (٢٢١٨١).

١٢٩) أخرجه أبو يعلى في «مسنده» برقم (٤٩٢٠) عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «يا عائشة، لو شئتُ لسارت معي جبالُ الذهب! جاءني ملك إن حجزته لتُساوي الكعبة، فقال: إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول لك: إن شئت نبياً عبداً، وإن شئت نبياً ملكاً؛ قال: فنظرتُ إلى جبريل قال: فأشار إلي أن ضَعْ نفسك! قال: فقلت: نبياً عبداً» قال: فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك لا يأكل متكئاً يقول: «آكُل كما يأكل العبدُ، وأجلس كما يجلس العبد». وقال محقق المسند: إسناده ضعيف.

١٣٠) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ ص١٧٤-١٧٥.

١٣١) كذا، والصواب «لابن أُنيس»، وهو عبد الله بن أُنيس الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ بدليل مخارج الحديث.

ففي الحديث الذي أخرجه أحمد في «مسنده» برقم (١٦٠٤٧) عن عبد الله بن أُنيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: .... قال: ثم قام معي رسول الله ﷺ فدخل في بيته فأعطاني عصا، فقال: «أمسِكْ هذه عندَكَ يا عبد الله بن أنيس»، قال: فخرجتُ بها على الناس، فقالوا: ما هذه العصا ؟ قال: قلتُ: أعطانيها رسولُ الله ﷺ وأمرني أن أمسِكَها! قالوا: أوَلا ترجعُ إلى رسول الله ﷺ فتسأله عن ذلك؟ قال: فرجعتُ إلى رسول الله ﷺ، فقلتُ: يا رسول الله، لم أعطيتَني هذه العصا؟ قال: «آية بيني وبينك يوم القيامة؛ إن أقلّ الناس المتخصّرون يومئذٍ يوم القيامة»، فقرنها عبد الله بسيفِه، فلم تزَلْ معه، حتى إذا ماتَ أمر بها فصبت معه في كفنه، ثم دُفنا جميعاً.

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» برقم (١٠٣٤٤): وفيه راوٍ لم يُسَمَّ، وهو ابن عبد الله بن أنيس، وبقية رجاله ثقاتٌ.

وأخرج الطبراني في المعجم الكبير»: قطعة من مسانيد من اسمه عبد الله: برقم (٩٨) عن جابر بن عبد الله الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن عبد الله بن أنيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نحو هذه القصة، وفي ختامها: ... ومع النبي ﷺ عصا يتخصر بها فناوله إياها فقال : " تخصَّرْ بهذه؛ فإن المتخصرين يوم القيامة قليلٌ»، فلم تزل معه حتى مات فدُفنت معه.

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» برقم (١٠٣٤٦): رواه الطبراني وفيه الوازع بن نافع وهو متروك

وأخرجه برقم (١٠١) عن محمد بن كعب القرظي، عن عبد الله بن أنيس بنحوه.

وَفِي «الجامِعِ الصَّغيرِ مَعَ شَرْحِ العَزيزي [١٣٣]» عَلَيْهِ:

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» برقم (١٠٣٤٥): ورجاله ثقاتٌ.

وهو عبد الله بن أنيس بن حرام الجهني، أبو يحيى (... - ٥٤ هـ = ...- ٦٥٤ م) حليف بني نابي بن عمرو بن سوادة من الأنصار، عِدادُه فيهم، من بني وبرة، من قضاعة، يعرف بالجهني، وليس جهنياً، عقبي بدري، من القادة الشجعان، بعثه النبي ﷺ سرية وحده إلى خالد بن تيج الهذلي. وقيل: سفيان الهذلي. فقتله وأعطاه النبي ﷺ مِخصَرَهُ وقال: «تخصر بهذه حتى تلقاني بها يوم القيامة» فدُفنت معه يوم دفن، وقيل: إنه أحد النفر الذين قتلوا ابن أبي الحقيق، وهو أحد الذين كسروا آلهة بني سلمة، كان ينزل من المدينة على بريدٍ، وشجّه بعضُ اليهود في وجهه، فأتى النبيَّ ﷺ، فتفل فيها فلم يتأذّ بها، روى عنه جابر بن عبد الله، وأبو أمامة الأنصاري، وقيل: عبد الله بن أنيس الأنصاري غير عبد الله بن أنيس الجهني.

يُنظر: «معرفة الصحابة» للحافظ أبي نعيم برقم (١٥٦٥)، و«الأعلام» ٤/٧٣.

١٣٢) «حَواشْي الطّوخي عَلى مَراقيِ الفَلاح».

١٣٣) علي بن أحمد بن محمد بن ابراهيم العزيزي. نسبة للعزيزية من الشرقية بمصر. البولاقي، الشافعي، نور الدين (...- ١٠٧٠ هـ = ...- ١٦٦٠ م) فقيه، محدث؛ من تصانيفه الكثيرة: «السراج المنير بشرح الجامع الصغير» في الحديث، و«حاشية على شرح التحرير» لزكريا الأنصاري، و«حاشية على شرح الغاية» لابن قاسم سماها «الفوائد العزيزية». يُنظر: «معجم المؤلفين» لكحالة برقم (٩١٦٣).

حَمْلُ العَصا . بِالقَصْرِ . عَلى العاتِقِ والتَّوَكُّؤُ عَلَيهْا عَلامة المُؤْمِنِ، وَسُنّة الأنْبياءِ؛ لِشُهْرة عَصا موسى، وَكانَ لِلنَّبي ﷺ عَنَزة تُحْمَلُ لَهُ في سَفَرِهِ، فَحمْلُها سُنّة (١٣٤).

وَبمِثْلِهِ قَدْ شَرَحَ المَناويُّ هَذا الحديثَ (١٣٥).

وَفي «الجامِعِ الصَّغيرِ» أيْضاً: «إنْ أتّخِذْ مِنْبَراً فَقَدِ اتَّخَذَهُ أبي إبْراهيمُ، وإنْ أتَّخِذِ العَصا فَقَدِ اتَّخَذَها أبي إبْراهيمُ».

قالَ العَزيزيُّ بَعْدَ تَمامِهِ: فَلا لَوْمَ عَلَيَّ في اتخاذِها؛ فَيُستَحبُّ اتِّخاذُ العَصا لاسيما في السَّفَرِ والتَّوَكُّؤُ عَلَيْها. وَفي حَديثٍ «إنَّ التَّوَكُّؤَ عَلى العَصا مِنْ أخْلاقِ الأنْبياءِ» (١٣٦).

---

١٣٤) «السراج المنير شرح الجامع الصغير» للعزيزي ٢/٢١٢. وفيه: أو للتَّوَكُّئ عَلَيهْا ... بِشهادة عَصا موسى.

١٣٥) «التيسير بشرح الجامع الصغير» للمناوي ١/٥٠١. وهو زين الدين محمد بن عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي الحدّادي ثم المناوي القاهري، (٩٥٢- ١٠٣١هـ= ١٥٤٥- ١٦٢٢م)، له: «فيض القدير شرح الجامع الصغير»، و«شرح الشمائل المحمدية للترمذي»، و«الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية». يُنظر: «الأعلام» ٦/ ٢٠٤.

١٣٦) «السراج المنير شرح الجامع الصغير» للعزيزي ٢/٥٥. وفيه: وفي الحديث. وحديثُ «إنَّ التَّوَكُّؤَ عَلى العَصا مِن أخلاقِ الأنبياءِ» أخرجه ابن عدي في «الكامل في

فَمِمّا ذُكِرَ يُسْتَفادُ الإطْلاقُ، وَلا تَتقيَّدُ بأبناءِ الأربعينَ، ولا بأسَ بِوَضْعِ سِنانٍ في أسْفَلِها؛ تَشَبُّهاً بِعَصا موسى.

وَقالَ البَغَوي [١٣٧] في بَعْضِ صِفاتِها: لَها شُعْبَتانِ، وَفي أسْفَلِها سِنانٌ، وَلَها مِحْجَنٌ.

قالَ ابْنُ مُقاتِل: «اسْمُها نَبْعة.». اهـ. البَغَوي مِنْ سَورة طه [١٣٨].

ضعفاء الرجال» ٨/١٠١في ترجمة المعلى بن هلال الطحان الكوفي، وقال: هو في عداد من يضع الأحاديث!

وروى عن أئمة علم الرجال سيلاً من الأقوال في الحكم الجازم على المعلى بن هلال بأنه كذاب وضّاع، والعياذ بالله تعالى.

١٣٧) الحسين بن مسعود بن محمد البغوي ، أبو محمد، (٤٣٦ - ٥١٠ هـ = ١٠٤٤ - ١١١٧ م) الملقب بمحيي السنة،: فقيه، محدث، مفسر. نسبته إلى (بغا) من قرى خراسان، بين هراة ومرو.له «التهذيب» في فقه الشافعية، و«لباب التأويل في معالم التنزيل» في التفسير، و«مصابيح السنة»، و«الجمع بين الصحيحين» وغير ذلك. يُنظر: «الأعلام» ٢/٢٥٩.

١٣٨) ذلك تحت تفسير قوله تعالى: ﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ ﴾[طه: ١٨]. «تفسير البغوي» ص ٨١٦، وفيه: قال مقاتل.

قالَ الحَسَنُ [١٣٩]: فيها. أيْ: في العَصا. سِتُّ خِصالٍ: سُنّة الأنْبياءِ، وَزَيْنُ الصُّلَحاءِ، وَسِلاحُ الأعْداءِ. يَعْني الكَلْبَ والحَيّة وَنَحوَهُما. وَعَوْنُ الضُّعَفاءِ، وَرَغْمُ المُنافِقينَ، وَزيادة في الحَسَناتِ. اهـ [١٤٠].

وهو مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء، البلخي، أبو الحسن (...- ١٥٠ هـ =...- ٧٦٧ م) من أعلام المفسرين؛ حُكي عن الشافعي قال: كلهم عيال مقاتل بن سليمان في التفسير. أصله من بلخ وانتقل إلى البصرة، ودخل بغداد فحدث بها، وتوفي بالبصرة، كان متروك الحديث.من كتبه: «التفسير الكبير»، و «نوادر التفسير»، و«الرد على القدرية»، و«متشابه القرآن»، و«الناسخ والمنسوخ»، و«القراءات»، و«الوجوه والنظائر». يُنظر: «الأعلام» ٧/٢٨١.

١٣٩) الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، (٢١- ١١٠ هـ= ٦٤٢- ٧٢٨ م)، أبو سعيد، مولى زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأمه خيرة مولاة أم سلمة زوج النبي ﷺ ، قيل: وُلد لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فيذكرون أن أمه كانت ربما غابت فيبكي، فتعطيه أم سلمة ثديها تعلله به إلى أن تجيء أمه فدر عليه ثديها فشربه فيرون أن تلك الحكمة والفصاحة من بركة ذلك! من علماء التابعين؛ رأى عدداً من الصحابة، واختُلف في سماعه منهم؛ روى له الجماعة.

يُنظر: «تهذيب التهذيب» ٢/٢٦٣-٢٧١، و «الأعلام» ٢/٢٢٦.

١٤٠) ذكره القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» ١٤/٤٤.

لُبْسُ المُرَقَّعة

وَماذا يَكونُ عَلى الفَقيرِ إذا لبِسَ المُرَقَّعة اقْتِداءً بِالفاروقِ حَيْثُ إنَّ سَيِّدَنا عُمَرَ، وَسَيِّدَنا عَليّاً رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا ألبَساها لِسَيِّدِنا أويْسٍ القَرَني (١٤١) بأمْرِهِ ﷺ (١٤٢).

---

١٤١) أويس بن عامر بن جزء بن مالك القرني، من بني قرن بن ردمان بن ناجية ابن مراد (... - ٣٧ هـ = ... - ٦٥٧ م) أحد النساك العباد المقدمين، سيد التابعين، أصله من اليمن، يسكن القفار والرمال، وأدرك حياة النبي ﷺ ولم يره، وقيل: إنما منع أويساً أن يقدم على النبي ﷺ برُّه بأمه، وكان من أبرّ الناس، فوفد على عمر بن الخطاب ثم سكن الكوفة، وشهد وقعة صفين مع علي، وقيل: قتل فيها.

يُنظر: «سير أعلام النبلاء» ١٩/٤-٣٣، «الأعلام» ٢/٣٢.

١٤٢) لم أجد هذه الرواية، والذي وجدتهُ رواية طويلة أخرجها أبو نعيم في «حلية الأولياء» ٢/٨٠-٨٣ أنّ عمرَ وعلياً التقيا أويساً، وفيها: فقال له عمر: مكانَكَ. يرحمك الله. حتى أدخل مكة، فآتيَكَ بنفقة من عطائي، وفضل كسوة من ثيابي، هذا المكان ميعادُ بيني وبينك، قال: يا أمير المؤمنين لا ميعادَ بيني وبينك! لا أراك بعد اليوم تعرفني! ما أصنع بالنفقة؟ ما أصنع بالكسوة؟ أما ترى عليَّ إزاراً من صوف، ورداءً من صوف؟ متى

وَسَنَدُ الصّوفيةِ فيها قَوْلُهُ ﷺ لِفاطِمة: «إنْ أرَدْتِ الُّلحوقَ بي، فَيَكْفيكِ مِنَ الدُّنْيا كَزادِ الرّاكِبِ، وايّاكِ وَمُجالَسة الأغْنياءِ، وَلا تَسْتَخْلِفي ثَوْباً حَتى تُرَقِّعيهِ» اهـ (١٤٣).

فَما اعْتِراضُ المُعْتَرِضِ عَلى لُبْسِ الفقُراءِ لِلْمُرَقَّعة إلّا كأنّهُ يَقولُ: يا فُقَراءُ لا تَرْضَوْا عَنِ اللهِ بِما قَسَمَهُ لَكُمْ، واسْألوا وَرِقوا، لِكَيْ لا تَلْبَسوا إلّا الثّيابَ الفاخِرة، فَلْيَتأمَّلْ كلُّ ذي حالٍ حاذِقٍ نَبيهٍ، فَلا حَوْلَ وَلا قوةَ إلّا بِاللهِ العَلي العَظيمِ.

تراني أخرقها؟ أما ترى أن نعليَّ مخصوفتان؟ متى تراني أبليهما؟ أما تراني إني قد أخذت من رعايتي أربعة دراهم؟ متى تراني آكلها؟.....

١٤٣) الرواية أن النبي ﷺ قال ذلك لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ أخرجه الترمذي في «جامعه»: كتاب اللباس: باب ما جاء في ترقيع الثوب: برقم (١٧٨٠)، ولكنه قال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث صالح بن حسان. قال: وسمعت محمداً [هو الإمام البخاري] يقول: صالح بن حسان منكر الحديث.

لُبْسُ الخِرْقة

وأمّا لُبْسُ الخِرْقة فَقَدْ ذَكَرَ الأُستاذُ الخليليُّ في «فَتاويهِ» قالَ:

والأصْلُ في لُبْسِ الخِرْقة ما رُويَ عَنْ رَسولِ اللهِ ﷺ أنّهُ قالَ: «لَيْلة أُسْري بي أخَذَني جِبْريلُ وأدْخَلَني قُبّة مِنْ نورٍ، وأخْرَجَ لي صُنْدوقاً مَقْفولاً، فَفَتَحَهُ وأخْرَجَ لي مِنْهُ زِيَّ الفُقَراءِ وألبَسَني إيّاهُ».

فَلَمّا لَبِسَهُ رَسولُ اللهِ ﷺ ألبَسَهُ لِأبي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمانَ وَعلي وأنسِ بْنِ مالِكٍ، وَلَمْ تَزَلِ الأولياءُ والصّوفيّة مُسْتَمِرّينَ عَلى لُبْسِهِ مِنْ زَمَنِ رَسولِ اللهِ ﷺ إلى الآنَ (١٤٤).

---

١٤٤) «فتاوى الخليلي» ٢/٢٦٤.

ولم أجد هذا الحديث في شيءٍ من كتب الحديث، وألفاظه مُحدَثةٌ ليست مما كان يتكلم به النبي ﷺ، والله أعلم.

لُبْسُ الزّي المُلَوَّنِ والعَمائِمِ

وأمّا لُبْسُ الزّي مُنَوَّعاً كالأحْمَرِ والأصْفَرِ والأبْيَضِ والأسْوَدِ فاقْتِداءٌ بِهِ ﷺ؛ حَيْثُ ثبَتَ بِالنُّصوصِ الصَّريحة لُبْسُهُ ما ذُكِرَ.

قالَ الصَّبّانُ [١٤٥] في كِتابِهِ المُسَمّى «إسْعافَ الرّاغِبينَ» . عِنْدَ ذِكْرِ نُبْذة مِنْ حِلْيَتِه ﷺ :

وَلَبِسَ مِنَ الثّيابِ الأبْيَضَ والأسْوَدَ والأحْمَرَ والأصْفَرَ خالِصاً، وَذا خُطوطٍ مِنْ غَيْرِ الحُمرة، والأخْضَرِ، قيلَ: المُرادُ مِنْهُ الخالِصُ، وَقيلَ: ذو الخُطوطِ الخُضْرِ.

---

١٤٥) محمد بن علي الصبان، أبو العرفان، (...- ١٢٠٦ هـ = ...- ١٧٩٢ م) عالم بالعربية والأدب مصري. مولده ووفاته بالقاهرة. له «الكافية الشافية في علمي العروض والقافية» منظومة، و«حاشية على شرح الأشموني على الألفية»في النحو، و«إتحاف أهل الاسلام بما يتعلق بالمصطفى وأهل بيته الكرام»، و«إسعاف الراغبين» في السيرة النبوية، و«حاشية على شرح الملوي على السلم» في المنطق، و«حاشية على شرح الرسالة العضدية». يُنظر: «الأعلام» ٦/٢٩٧.

وَلُبْسُهُ الأحمَرَ الخالِصَ والمُزَعْفَرَ مَعَ نَهْيِهِ عَنْهُما لِبَيانِ الجَوازِ، والإشارة إلى أنَّ النَّهْيَ لِلتَّنْزيهِ.

وَمَنْ حَرَّمَ المَصْبوغِ بِكَثيرِ الزَّعْفَرانِ حَمَلَ صَبْغَهُ عليهِ الصلاةُ والسَّلامُ بِهِ عَلى الصَّبْغِ بِقَليلِهِ.

وَلَيْسَتْ عِمامَتُهُ كَبيرة وَلا صَغيرة، قالَ المُناويُّ: لَمْ يُتَحَرَّ في طولِها وَعَرْضِها شَيْءٌ. اهـ.

وَلَبِسَ العَمامةَ البَيْضاءَ والسَّوْداءَ والصَّفْراءَ، والأكْثَرُ البَيْضاءُ.

وَكانَ غالِباً يُرْخي لِعِمامَتِهِ عَذَبة بَيْنَ كَتِفَيْهِ، أقَلُّ ما وَرَدَ في قَدْرِها أرْبَعةُ أصابعَ، وأكثَرُهُ ذِراعٌ، وَلَبِسَها بِقَلَنْسوةٍ وَبِدونِها، والقَلَنْسوةَ بِدونِ العِمامةِ. اهـ [١٤٦].

---

١٤٦) «إسعاف الراغبين في سيرة المصطفى وآل بيته الطاهرين» للشيخ محمد الصبان بحاشية «مشارق الأنوار في فوز أهل الاعتبار» للحمزاوي ص ٣٦-٣٧. وعبارة المناوي المنقولة عنه في «فيض القدير شرح الجامع الصغير» ٥/٢١٣-٢١٤، وهي فيه: واعلم أنه لم يتحرّرْ. كما قاله بعض الحفاظ. في طول عمامته وعرضها شيءٌ وما وقع للطبراني في طولها أنه سبعة أذرع، ولغيره. نقلاً عن عائشة. أنه سبعة في عرض ذراع، وأنها كانت في السفر بيضاء، وفي الحضر سوداء من صوف، وقيل: عكسه، وأن عذبتها كانت في السفر من غيرها، وفي الحضر منها فلا أصل له.

وَبِمثْلِ ذَلِكَ ذَكَرَ الإمامُ الغَزالي في «الإحياءِ» [١٤٧]، وَفي «الشَّمائِلِ الشَّريفة» [١٤٨] ما يُغْني عَنِ الإطالة.

وَقَدْ ثَبَتَ أنّ المَلائِكة في وَقعة بَدْرٍ كانوا يَهْبِطونَ مُشَكِّلينَ العَمائِمَ [١٤٩].

فَكُلٌّ أخَذَ ما رَغِبَ، واسْتَمَرَّتِ الصّوفيةُ عَلى ذَلِك إلى الآنَ.

---

١٤٧) يُنظر: «إحياء علوم الدين» ٢/٥٨٤.

١٤٨) يُنظر: «الشمائل المحمدية» للإمام الترمذي: باب ما جاء في عمامة رسول الله ﷺ، وفيه خمسة أحاديث. ص ٥٨-٥٩.

١٤٩) عن عبد الله بن عباس قال: كانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيضاً قد أرسلوها على ظهورهم، ويوم حنين عمائم حمراً..... وكانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيضاً قد أرخوها على ظهورهم، إلا جبريل فإنه كانت عليه عمامة صفراء.

يُنظر: «السيرة النبوية» لابن هشام ١/٥٥٩.

الضَّرْبُ بِالدُّفِّ وَغَيْرِهِ

وأمّا الضَّرْبُ بِالدُّفِّ فَلَوْ لَمْ يَكُنْ إلّا ضَرْبُ النِّساءِ بِالدُّفِّ عَلى السُّطوحِ عِنْدَ قُدومِهِ ﷺ وإنشادُهُنَّ الشِّعْرَ بِالألحانِ لَكَفى هذا (١٥٠).

---

١٥٠) قال الإمام الغزالي في «إحياء علوم الدين» ٢/٤٣١ عند ذكره أنّ السماع في أوقات السرور تأكيداً للسرور وتهييجاً له:

وهو مباح إن كان ذلك السرور مباحاً كالغناء في أيام العيد، .... ويدل على هذا من النقل إنشاد النساء على السطوح بالدف والألحان عند قدوم رسول الله ﷺ [مجزوء الرمل]:

طلع البدر علينا = من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا = ما دعا لله داع

فقال الحافظ زين الدين العراقي في تخريجه: أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة»: من حديث عائشة مُعضلاً وليس فيه ذكر الدف والألحان. ا.هـ.

وهو في «دلائل النبوة»: باب من استقبل رسول الله ﷺ وصاحبه من أصحابه: ٢/٥٠٦-٥٠٧ عن الفضل بن الحباب قال: سمعت عبد الله بن محمد بن عائشة يقول... الحديث.

وابن عائشة هذا من شيوخ الإمام أحمد وبينه وبين عائشة لا أقل من ثلاثة رواة ساقطون.

وقد رواه البيهقي في «الدلائل»: باب تلقي الناس رسول الله ﷺ حين قدم من غزوة تبوك ٥/٢٦٦، ثم قال: قلت: وهذا يذكره علماؤنا عند مقدمه المدينةَ من مكة، وقد ذكرناه عنده، لا أنه لما قدم المدينة من ثنية الوداع عند مقدمه من تبوك، والله أعلم ، فذكرناه أيضا هاهنا. ا.هـ.

فيكون في الحديث مع الإعضال الاضطرابُ؛ مع خلوّه من ذكرٍ للدفّ والألحان، والله أعلم.

وقد ذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «زاد المعاد» ٣/٥٥١ هذا عند تلقّي الناسِ رسولَ الله ﷺ قادماً من تبوك؛ ثم قال:

وبعضُ الرواة يَهِمُ في هذا ويقولُ: إنما كان ذلك عند مقدَمِه إلى المدينة من مكةَ، وهو وهم ظاهرٌ؛ لأن " ثنيات الوداع " إنما هي ناحية الشام لا يراها القادمُ من مكة إلى المدينة ولا يمر بها إلا إذا توجه إلى الشام. ا.هـ.

ولكنّ ما رآه له مَخرَجٌ هو ما يذكرُهُ ياقوت الحمويُّ في «معجم البلدان» ٢/٨٦:

ثنية الوداع ـ بفتح الواو ـ: وهو اسم من التوديع عند الرحيل، وهي ثنية مشرفة على المدينة يطؤها من يريد مكة.

واختُلف في تسميتها بذلك... إلى أن قال: والصحيح أنه اسمٌ قديمٌ جاهليٌّ سُمّي لتوديع المسافرين. ا.هـ.

وَقَدْ رُفِعَ سُؤالٌ إلى الأُسْتاذِ الخليلي ذَكَرَهُ في «فَتاويهِ» ما صورَتُهُ:

فيما اعْتادَهُ السّادة الصّوفيةُ مِنُ التَّوَجُّهِ إلى زيارة الأنبياءِ والأولياءِ، وَتَقْبيلِ ضَرائِحِهِمْ، والتَّوَسُّلِ والاسْتغاثة بِهِمْ، وَيَذْهَبونَ بِالأعْلامِ، وَيَدُقّونَ الطُّبولَ البازَ والمِزْهَرَ، هَلْ ذَلِكَ حَرامٌ أمْ لا؟ وإذا قُلْتُمْ: حَرامٌ، فَما الموجِبُ لِحُرْمتِهِ؟

أجابَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ:

اعْلَمْ. وَفَّقَكَ اللهُ تَعالى. أنّ زيارة القُبورِ مُسْتَحَبّة مَطْلوبة لِغَيْرِ الأنبياءِ الكِرامِ، فما بالُكَ بِخيرة اللهِ مِنْ خَلْقِهِ وَصَفْوَتِهِ مِنْ عِبادِهِ، وَلا يَمْنَعُها إلّا كَلٌّ شَقي بَغيضٍ، عَدو لِلإسْلامِ مغيضٍ.

وقال ابن شبة في «تاريخ المدينة» ١/٢٦٩: ما جاء في ثَنِية الوداع وسبب ما سُمِّيَتْ به:

قال أبو غسان: حدثني عبد العزيز بن عمران، عن عامر، عن جابر قال: كان لا يدخل المدينة أحدٌ إلا عن طريقٍ واحد من ثنية الوداع، فإن لم يعشِّر بها مات قبل أن يخرج منها، فإذا وقَفَ على الثنية قيل "قد وَدَع " فسميت ثنية الوداع.

قالَ القُطْبُ الرَّبّاني، والعالمُ الصَّمَداني، مُحْيي الدّينِ النَّوَوي. قُدِّسَ سِرُّهُ العَزيزُ.[١٥١] مَعَ شَرْحِ ابْنِ حَجَرٍ[١٥٢] لَهُ:

---

١٥١) يحيى بن شرف بن مري النووي محيي الدين، أبو زكريا، (٦٣١- ٦٧٦ ه= ١٢٣٣- ١٢٧٧م) الشيخ الإمام، العلامة، شيخ الإسلام، نسبته إلى بلدته «نوى» من قرى حوران، فيها ولد ومات، له: «تهذيب الأسماء واللغات»، و«المنهاج» متن في الفقه، و«المنهاج في شرح صحيح مسلم»، و«التقريب والتيسير» في مصطلح الحديث، و«الأذكار»، و«رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين»، و«المجموع شرح المهذب» للشيرازي، و«التبيان في آداب حملة القرآن»، و«الأربعون النووية»، وغيرُها.

يُنظر: «طبقات الشافعية الكبرى» ٨/٣٩٥- ٤٠٠، و «معجم المؤلفين» ١٣/٢٠٢.

١٥٢) شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني ثم المصري الشافعي (٧٧٣- ٨٥٢ه= ١٣٧٢- ١٤٤٩م) شيخ الإسلام، وإمام الحفاظ في زمانه، وحافظ الديار المصرية، بل حافظ الدنيا مطلقاً قاضي القضاة، طلب الحديث فسمع الكثير، ورحل ولازم شيخه الحافظ أبا الفضل العراقي، وبرع في الحديث وتقدم في جميع فنونه، له «فتح الباري بشرح صحيح البخاري»، و«تغليق التعليق»، و«تهذيب التهذيب»، و«تقريب التهذيب»، و«لسان الميزان»، و«الإصابة في تمييز الصحابة» وغير ذلك كثير.

يُنظر: «ذيل طبقات الحفاظ للذهبي» للحافظ جلال الدين السيوطي ص٣٨٠- ٣٨١، و«الأعلام» ١/١٧٨.

ويُنْدَبُ زيارة القُبورِ الَّتي لِلْمُسْلِمِ للرِّجالِ إجْماعاً، وَكانَتْ مَحْظورة لِقُرْبِ عَهْدِهِمْ بِالجاهِليّة، فَرُبَّما حَمَلَهُمْ عَلى ما لا يَنْبَغي. ثُمَّ لمّا اسْتَقَرَّتِ الأُمورُ نُسِخَتْ، وأُمِروا بِقَوْلِهِ ﷺ: «كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زيارة القُبورِ فَزوروها؛ فإنَّها تُذَكِّرُ الآخِرة» (١٥٣).

وأمّا النِّساءُ فانَّ الزّيارة لِغَيْرِ الأنبياءِ لَهُنَّ مَكْروهة، وَقُبورِ الكُفّارِ لا تُسَنُّ زيارَتُها.

قالَ:

يُسَنُّ لِلنِّساءِ زيارة قُبورِ الأنبياءِ، وَقَبْرُهُ ﷺ أشَدُّ اسْتِحْباباً، وَيُسَنُّ لَهُنَّ زيارة الأولياءِ والعُلَماءِ، وَتَقْبيلُ ضَرائِحِهِمْ غَيْرُ مَمْنوعٍ.

---

١٥٣) أخرجه. بهذا اللفظ. الإمام أحمد في «مسنده» برقم (٢٣٠٠٥) من حديث بريدة.

والحديثُ في «صحيح مسلم»: الجنائز: باب استئذان النبي ﷺ ربه عز وجل في زيارة قبر أمه: برقم (٢٢٦٠) عن بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «نهيتُكم عن زيارة القبور فزوروها، ....». الحديثَ.

وأخرجه أبو داود في «سننه»: الجنائز: باب في زيارة القبور: برقم (٣٢٣٥) مختصراً.

وأخرجه الترمذي في «جامعه»: كتاب الجنائز: باب ما جاء في الرخصة في زيارة القبور: برقم (١٠٥٤) مختصراً بنحوه.

وأخرجه النسائي في «المجتبى»: كتاب الجنائز: زيارة القبور: برقم (٢٠٣٤) مطوّلاً.

والتَّوَسُّلُ بالأنْبياءِ والأولياءِ مَطْلوبٌ مَحْبوبٌ، كما عَلَيْهِ السَّلَفُ والخَلَفُ.

وَجَميعُ الطُّبولِ جِائزة، إلّا الدِّرْبِكّة، وَهْيَ طَبْلٌ واسِعُ الرّاسِ، ضَيِّقُ الوَسَطِ.

فَلَيْسَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ مَمْنوعٌ، بَلْ هو مَطْلوبٌ مُحَرِّكٌ لِلْقُلوبِ إلى عَلّامِ الغُيوبِ، لا يُنْكِرُهُ إلا كلُّ مُلْحِدٍ مُبْتَدَعٍ مِنْ أهْلِ الضَّلالِ، واللهُ أعْلَمُ (١٥٤).

فائِدة:

قالَ في «الدُّرِّ المُخْتارِ»:

مِنْ ذَلِكَ ضرْبُ النَّوْبة للتَّفاخُرِ فَلا، وَلِلتَّنبيهِ فَلا بأسَ بِهِ، كما إذا ضُرِبَ في ثَلاثة أوقاتٍ لتَذْكيرِ ثَلاثِ نَفَخاتِ الصّورِ المُناسَبة بَيْنَهُما، فَبَعْدَ العَصرِ للإشارة إلى نَفْخة الفَزَعِ، وَبَعْدَ العِشاءِ إلى نَفْخة المَوْتِ،

---

١٥٤) «فتاوى الخليلي» ٢/٢٥٠-٢٥١.

وَبَعْدَ نِصْفِ اللَّيْلِ إلى نَفْخة البَعْثِ، وَتَمامُهُ فيما عَلَّقْتُهُ عَلى «المُتَلَقّي»[١٥٥]، واللهُ أعْلَمُ.

قَوْلُهُ: ثَلاثِ نَفَخاتِ الصّورِ، هي طَريقة لِبَعضِهِمْ، والمَشْهورُ: أنّهُما نَفْخَتانِ، نَفْخة الصَّعْقِ، وَنَفْخة البَعثِ.

قَوْلُهُ: المُناسَبة بَيْنَهُما، أيْ: بَيْنَ النَّفَخاتِ والضَرْبِ في الثَّلاثة أوقاتٍ.

قَوْلُهُ: بَعْدَ العَصرِ إلى آخِرِهِ، بَيانٌ لِلْمُناسَبة؛ فإنَّ النّاسَ بَعْدَ العَصرِ يَفْزَعونَ مِنْ أسْواقِهِمْ إلى مَنازِلِهِمْ، وَبَعْدَ العِشاءِ وَقْتُ نَوْمِهِمْ، وَهو المَوْتُ الأصْغَرُ، وَبَعْدَ نِصْفِ اللَّيْلِ يَخْرُجونَ مِنْ بُيُوتِهِمْ الَّتي هي قُبورُهُمْ إلى أعْمالِهِمْ.

أقولُ: فَهَذا يُفيدُ أنَّ آلةَ اللَّهْوِ لَيْسَتْ مُحَرَّمة لِعَيْنِها بَلْ بِقَصْدِ اللَّهْوِ مِنْها، إمّا مِنْ سامِعِها، أو مِنَ المُشْتَغِلِ بِها، وَبِهِ تُشْعِرُ الإضافة، ألا تَرى أنَّ ضَرْبَ تِلْكَ الآلةِ بِعَيْنِها حَلَّ تارة وَحَرُمَ أُخْرى بِاخْتِلافِ النّيّةِ، والأُمورُ بمَقاصِدِها.

---

١٥٥) كذا، والصواب «الملتقى» يريد: تعليقاتٍ له على «ملتقى الأبحر في فروع الحنفية» للشيخ الإمام إبراهيم بن محمد الحلبي المتوفى سنة (٩٥٦هـ).

وَفيهِ دَليلٌ لِساداتِنا الصّوفيةِ الَّذينَ يَقْصِدونَ بِسَماعِها أُموراً هُمْ أعْلَمُ بها، فَلا يُبادِرُ المُعْتَرِضُ بِالإنْكارِ لِئَلّا يُحْرَمَ بَرَكَتَهُمْ، فإنَّهُمُ السّادة الأخْيارُ، أمَدَّنا اللهُ تَعالى بِإمْداداتِهِمْ، واعادَ عَلَيْنا مِنْ صالحِ دَعَواتِهِمْ وَبَرَكاتِهِمْ.

ا.هـ مِنْ «دُرِّ المُخْتارِ» مِنْ كِتابِ الحَظْرِ والإباحة كما أورَدوهُ (١٥٦).

وَقَدْ ذَكَرَ عَلايا الدّينِ شارِحُ قَصيدة سَيِّدي عَبْدِ القادِرِ بْنِ حَبيبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١٥٧) عِنْدَ قَوْلِهِ [من الطويل]:

---

١٥٦) قول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: ا.هـ مِنْ «دُرِّ المُخْتارِ» مِنْ كِتابِ الحَظْرِ والإباحة كما أورَدوهُ.

الصواب: ا.هـ مِنْ «ردّ المُحتارِ على الدر المختار» المشهور بـ «حاشية ابن عابدين» ٩/٥٠٤-٥٠٥.

١٥٧) عبد القادر بن محمد بن عمر، أبو النجائب ابن حبيب الصفدي الشافعي (... - ٩١٥ هـ = ... - ١٥٠٩ م) زاهدٌ من أهل صفد؛ كان يقرئ الأطفال، ويستر زهدَه بالخمول والضرب على الدفّ في الأسواق والمحافل،ثم ظهر فضله، وزار دمشق وأقبل عليه الناس، له نظم اشتهرت منه «تائية» ركيكة شرحها الشيخ علوان (علي بن عطية) شرحاً حافلاً، و«تغريبة ابن حبيب في وصل الحبيب».يُنظر: «الأعلام» ٤/٤٢-٤٣.

وهذا البيت ليس من تائيته المذكورة فتلك على البحر البسيط ومنها قوله:

إن لم تَجدْ مُنصفاً للحق دعْهُ إلى = مولى الموالي ومساك السَّماواتِ

خَرَقْتُ المَعاني واحْتَلْتُ رُموزَها وَطالَعْتُ سِرَّ السِّرِّ مِنْ عَظْمِ وَجْدَتِي

وَقالَ الشّارِحُ المذْكورُ رَحِمهُ الله تعالى:

فإنْ قُلْتَ: كَيْفَ يُباحُ السَّماعُ واسْتِعْمالُ بَعْضِ الآلاتِ؟

أقولُ: اعلَمْ ـ هَداكَ الله، وألهَمَنا وإيّاك الرّشدَ ـ أنَّ تَحْسينَ الظَّنِّ بأهْلِ اللهِ واجِبٌ، وإساءة الظَّنِّ بِعُمومِ المُسْلمينَ حَرامٌ، فَضْلاً عَنْ خَواصِّهِمْ، وَللهِ ﷻ في خَلْقِهِ أسرارٌ لَمْ يُطْلِعْ علَيْها إلّا مَنْ شاءَ، وَلهُ أنْ يَحْكُمَ في عِبادِهِ ما يُريدُ وَيَخْتارُ؛ فَخَرْقُ السَّفينة وَقَتْلُ الغُلامِ لِلسَّيِّدِ الخَضرِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، أصْلٌ تُقاسُ عَليهِ أحْوالُ السّادة الصّوفيّة، وَهُمْ بِذَلِكُ مأمورونَ وَمُتابِعونَ فيه.

وَلَقدْ صَنَّفَ أهْلُ العِناية مُصَنَّفاتٍ عَلى نُصْرَتِهِمْ كالإمامِ الغَزالي، وأبي المَواهِبِ الشّاذِليِّ [١٥٨]؛ فإنَّ أبا المَواهِبِ خَبَّرَ عَلى شُهودِ تَسْبيحِ

ولم أهتد إلى معرفة «علايا الدين» الذي ذكره المؤلف، والله أعلم.

١٥٨) الشيخ محمد بن أحمد بن محمد بن الحاج، أبو المواهب، التونسي، المالكي الشاذلي، أبو عبد الله، ابن زغدان (٨٢٠ - ٨٨١ هـ= ١٤١٧ - ١٤٧٦ م). صوفي، شاعر، حفظ القرآن والحديث والتصوف وأصبح آية في فهم كلام الصوفية، وكان له خلوة بسطح

الآلاتِ، كما في قوْلِه تَعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ ﴾ [الإسراء: ٤٤].

وَذُكِرَ في «فَتاوى ابْنِ عابِدينَ» (١٥٩):

سُئِلَ العَلّامة الجَدُّ عَبْدُ الرَّحمنِ أفْندي العُمادي (١٦٠) عَنِ السَّماعِ بِما صورَتُهُ:

الأزهر، وكان يغلب عليه سكر الحال أحياناً ، كان داعية لابن عربي شديداً في المناضلة عنه والانتصار له.

من كتبه: «فوائد حكم الاشراق إلى صوفية جميع الآفاق»، و«شرح الحكم العطائية»، و«معارف الوصول إلى نفحات الرسول»، «فرح الأسماع برخص السماع»، وديوان شعر سماه «مواهب المعارف».

يُنظر: «معجم المؤلفين» برقم (١١٩٨٦)، «موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان» ٢٣/٥٧.

١٥٩) هذه التسمية على سبيل المجاز؛ ذلك أن الكتاب هو «العقود الدرية في تنقيح الفتاوى الحامدية» لمحمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي (١٢٥٢هـ).

و«الفتاوى الحامدية» لحامد بن علي العمادي المفتي الدمشقي الحنفي القونوي المفتي بالروم المتوفى سنة (٩٨٥هـ).

فيما إذا سُمِعَ مِنَ الآلاتِ المُطْرِبة، كاليراعِ وَغَيْرِهِ وَما لِذَلِكَ مِنْ شبيهٍ، هَلْ ذَلِكَ حَلالٌ أو حَرامٌ، بِالنِّسْبة إلى الحَقيقة والشَّريعة، وَهلْ لِذلكَ سَبيلٌ؟ وإلى سَماعِهِ طَريقٌ أمْ لا؟

فأجابَ المَوْلى المَذْكورُ. عَلَيهِ رَحمة العَزيزِ الغَفورِ.:

قَدْ حَرَّمَهُ مَنْ لا يُعْتَرَضُ عَلَيْهِ لِصِدْقِ مقالِهِ، واباحَهُ مَنْ لا يُنْكَرُ عَلَيْهِ لِقوةِ حالِه، فَمَنْ وُجِدَ في قَلْبِه شَيْءٌ مِنْ نورِ المَعْرِفة فَلْيتَقَدَّمْ، والّا فَرُجوعُهُ عَمّا نَهى عَنْهُ الشَّرْعُ الشَّريفُ أحْكَمُ واسْلَمُ، واللهْ سُبْحانَهُ وَتَعالى أعْلَمُ.

كتَبَهُ الفَقيرُ عَبْدُ الرَّحمنِ العُمادي المُفْتي بِدِمَشْقِ الشّامِ، عَفا اللهُ عنْهُ.

قالَ المؤَلِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَرأيْتُ بِخَطِّهِ الشَّريفِ ما صورتُهُ:

---

١٦٠) عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن عماد الدين (٩٧٨ - ١٠٥١ هـ = ١٥٧٠ - ١٦٤١ م) مفتي دمشق، ومن أجلاء شيوخها. له «الروضة الريا، في من دفن بداريا»، و«تحرير التأويل» في التفسير، و«المستطاع من الزاد»في مناسك الحنفية، و«الفتاوى»، و«هدية ابن العماد لعباد العباد»، و«ري الصادي من فتاوى العمادي»، وله شعر.

يُنظر: «خلاصة الأثر» للمحبي ٢/ ٣٨٠ – ٣٨٩، و «الأعلام» ٣/٣٣٢.

سُئِلَ المُلّا مصْلِحُ الدّينِ الدّاري العالِمُ المَشْهورُ [١٦١]. وَهوُ حينَئِذٍ مُقيمٌ بِحَلَبَ. عَنْ جَوازِ جَميعِ أنْواعِ الدُّفِّ والشَّبّابةِ والسَّماعِ؟

---

١٦١) الصواب في اسم المسؤول: «مصلح الدين اللاري»، وهو مصلح الدين محمد بن صلاح بن جلال الملتوي الأنصاري السعدي العبادي الشافعي.

ترجم له ابن العماد الحنبلي في وفيات سنة (٩٦٧هـ) في «شذرات الذهب» ٥١٠/١٠-٥١١ وذكر فتواه هذه.

وترجم لمصلح الدين اللاري عليٌّ بن لالي بالي الرومي، الحنفي، المعروف بمنق (علاء الدين) في «العقد المنظوم في أفاضل الروم» [الملحق بالشقائق النعمانية» لطاش كبري زاده] ص ٤١٩ -٤٢٢، وذكر أن وفاته في سنة (٩٧٩هـ)، وذكر أن اللار. وهي بالراء المهملة. مملكة بين الهند والشيراز.

وكذا فعل الأستاذ خير الدين الزركلي في «الأعلام» ٦/١٦٩-١٧٠، وذكر ما في «شذرات الذهب»، وأنه استند إلى «كشف الظنون»، وبروكلمان.

مع ذلك فإنّ الأستاذ الزركلي ترجم باختصارٍ في ٧/١٠٣ لمحمد مصلح الدين اللاري، وذكر أن وفاته في سنة (٩٧٧هـ)، وحشّى بأنّه قيل في وفاته: (٩٧٩هـ).

واللاري فقيه شافعي، زار حلب سنة ٩٦٤ وحج، وعاد فأقام فيها، ثم سافر إلى آمد.له: «شرح الشمائل»، و«شرح الأربعين النووية»، و«شرح الارشاد» في فروع الشافعية، و«شرح السراجية»، و«حاشية» على بعض البيضاوي.

فأجابَ أنّ كُلّا مِنْهما مُباحٌ، واجْتِماعُهُما أيْضاً مُباحٌ مُسْتَدِلًّا بِقَوْلِ الغَزالي في «الإحْياءِ»: إنَّ أفْرادَ المُباحاتِ وَمُجْموعَها عَلى السَّواءِ إلّا إذا تَضَمَّنَ المَجْموعُ مَحْذوراً لا يَتَضَمَّنُهُ الآحادُ (١٦٢).

قالَ:

وَقَدْ وَقَعَ المَنْعُ مِنْ بَعضِ أهِلِ زَمانِنا، وأفْتى جَدّي بِالجوازِ، وَصَحَّحَ فَتْواهُ أكابِرُ العُلماءِ، مِنْ مُعاصِريهِ بِبِلادِ فارِسَ، ثُمَّ نَقَلَ فَتْوى جَدِّهِ بِطولِها، وَنَقَلَ قَوْلَ العارِفينَ، وَتَحْريمَ النَّوَوي الشَّبّابة (١٦٣) وَقالَ: لَمْ يُقِمِ النَّوَوي دَليلاً عَلى ذَلِكَ.

---

١٦٢) «إحياء علوم الدين» ٢/٤٢٥، وعبارته: فإن أفراد المباحات إذا اجتمعت كان ذلك المجموع مباحاً، ومهما انضم مباح إلى مباح لم يحرم إلا إذا تضمن المجموع محظوراً لا تتضمنه الآحاد.

١٦٣) في كتاب الشهادت في «روضة الطالبين» ٨/٢٠٦.

ثُمَّ نَقَلَ مُصَحِّحُ الجَلالِ الدَّواني [١٦٤] فَتْوى جَدِّهِ، ثُمَّ كلامَ الدَّواني في «شَرْحِ الهَياكِلِ»، حَيْثُ قالَ: إنَّ الإنسانَ يَسْتَعِدُّ بِالحَركاتِ العِباديةِ الوَصْفيةِ الشَّرْعيةِ لِلشَّوارِقِ القُدْسيةِ.

بَلِ المُحَقِّقونَ مِنْ أهْلِ التَّجْريدِ، قَدْ يُشاهِدونَ في أنْفُسِهِمْ طَرَباً قُدْسياً مُزْعِجاً، فَيَتَحَرَّكونَ بالرَّقْصِ والتَّصْفيق والدَّوَرانِ، وَيَسْتَعِدّونَ بِتِلكَ الحرَكةِ لِشُروقِ أنْوارٍ أُخَرَ، إلى أنْ يَنْقَضي ذَلِكَ الحالُ عَنهُمْ بِسَبَبٍ مِنَ الأسْبابِ، كَما عَلَيْهِ تَجارُبُ السّالِكينَ.

وَذَلِكَ مِنْ سِرِّ السَّماعِ وأصْلِهِ الباعِثِ لِلْمُتأهِّلينَ عَلى وَصْفِهِ؛ حَتّى قالَ بَعضُ أعْيانِ هذِهِ الطّائِفة: إنهُ قَدْ يَنْفَتِحُ في مَجْلِسِ السَّماعِ، ما لا يَنْفَتِحُ في الأرْبَعينياتِ [١٦٥].

---

١٦٤) محمد بن أسعد الصديقي الدواني، جلال الدين: (٨٣٠ - ٩١٨ هـ = ١٤٢٧ - ١٥١٢ م) قاض، باحث، فيلسوف، وُلد في دوان (من بلاد كازرون) وسكن شيراز، وولي قضاء فارس وتوفي بها. له: «أنموذج العلوم»، و«تعريف العلم»، و«ثبت» في ذكر مشايخه، و«إثبات الواجب»، و«حاشية على شرح القوشجي لتجريد الكلام»، و«حاشية على تحرير القواعد المنطقية» للقطب الرازي، و«الأربعون السلطانية» ، و«شرح هياكل النور» للسهروردي. يُنظر: «الأعلام» ٦/٣٢.

وَلَنا بهَذا الأُسْتاذِ أُسْوة، وإذا عارَضهُ ابنُ عابِدينَ، فالسُّنّة واسِعة، ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ﴾ [يوسف: ٧٦].

وَقالَ الأُستاذُ أَحَمدُ بْنُ غانِمِ المَقْدِسي (١٦٦) في كِتابِهِ المُسَمّى «حَلَّ الرُّموزِ»:

---

١٦٥) هنا ينتهي كلام الدواني في «شواكل الحور في شرح هياكل النور للسهروردي» ص ٢١٨-٢١٩.

والفتوى بتمامها في «العقود الدرية في تنقيح الفتاوى الحامدية» ٢/٣٢٣ لابن عابدين، و«شذرات الذهب» ١٠/٥١٠-٥١١.

١٦٦) كذا سمّاه المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الأصل!، والصواب أنه عز الدين عبد السلام بن محمد بن أحمد بن غانم المقدسي، واعظ، له نظم ونثر، من كتبه: «تفليس إبليس» مناظرات له مع الشيطان !، و «حل الرموز» تصوف، و«كشف الأسرار عن حكم الطيور والأزهار»، و«إفراد الاحد عن أفراد العدد»، «الروض الأنيق في الوعظ الرقيق»، «طرق الوسائل وتحلق الرسائل»، «الفتوحات الغيبية في الأسرار القلبية»، «محاسن الأخيار بجميل العبارة ولطيف الإشارة»، و«ديوان شعر».

ترجمته في «الأعلام» للزركلي ٣/٣٥٥، ووفاته فيه (...- ٦٧٨ هـ =...- ١٢٨٠ م).

وفي «معجم المؤلفين» لكحالة: (...- ٦٧٨ هـ =...- ١٢٧٩ م).

فَصْلٌ:

وأمّا الضَّرْبُ بالدُّفِّ والرَّقْصُ فَقَدْ جاءَتِ الرُّخْصة في إباحَتِهِ للفرَحِ والسُّرورِ في أيّامِ الأعْيادِ والعُرْسِ، وَقُدومِ الغائِبِ والوَليمةِ والعَقيقة، وَقَدْ ثَبَتَ بَيانُ ذَلِكَ بِالبُطونِ الشَّرْعي (١٦٧).

فَمِنْ ذَلِكَ إنشادُهُمْ وَضَرْبُهُمْ بالدُّفِّ عِنْدَ قُدومِ رَسولِ اللهِ ﷺ، وَقَوْلُهُم: طَلَعَ البَدْرُ عَلَيْنا ... إلخ(١٦٨)

فأباحَ لَهُمْ ذَلِكَ لإظْهارِ السُّرورِ بِقُدومِهِ.

قالَ: وَمنْ ذَلِكَ: ما أخْرَجَهُ البُخاري وَمُسْلِمٌ في «صَحيحَيْهِما»: عَنِ الزُّهْري (١٦٩)، عَنْ عُرْوة (١٧٠)، عَنْ عائِشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (١٧١) أنّ أبا

والصواب أن وفاته سنة (٩٧٨هـ) كما «كشف الظنون» ١/٦٨٦، و«هدية العارفين» ١/٥٢١، و«إيضاح المكنون» ١/٤١٦، و«موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان» ٢٢/١٧٨، وهي تقابل سنة (١٥٧٠م)، والله أعلم.

١٦٧) كذا، ولا معنى لها، والصواب: بالنصّ الشرعي.

١٦٨) سلف تخريج ذلك من قبل ص ١١٦.

١٦٩) محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب القرشي الزهري المدني، أبو بكر (٥٨- ١٢٤ هـ= ٦٧٨- ٧٤٢م)، من سادات التابعين وعلمائهم، ثقة كثير الحديث والعلم

والرواية فقيهٌ جامعٌ، وهو أول من دوّن من السُّنة؛ قال أبو داود: أسند الزهري أكثر من ألف حديث عن الثقات، روى له الجماعة.

يُنظر: «تذكرة الحفاظ» برقم (٩٧)، و«الأعلام» ٧/٩٧.

١٧٠) عروة بن الزبير بن العوام، (٢٢- ٩٣ ه= ٦٤٣- ٧١٢ م)، قال الذهبي: الإمام، عالم المدينة، أبو عبد الله القرشي الأسدي، المدني، الفقيه، أحد الفقهاء السبعة، حدث عن أبيه بشيءٍ يسير لصغره، وعن أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق، وعن خالته أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ولازمها وتفقه بها، روى عن أجلاء الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ورُويَ عنه علمٌ كثير.

يُنظر: «سير أعلام النبلاء» ٤/ ٤٢١-٤٣٧، و«الأعلام» ٤/٢٢٦.

١٧١) عائشة بنت أبي بكر، الصديقة بنت الصديق (٩ ق ه- ٥٨ه= ٦١٣- ٦٧٨م)، حبيبةُ حبيب الله ﷺ، المبرأة من فوق سبع سموات، عقد عليها النبي ﷺ بمكة، وبنى بها على رأس سبعة أشهر بعد مقدمه المدينة ولم يتزوج بكراً غيرها، توفي ﷺ عنها وهي بنت ثمان عشرة سنة، كناها النبي ﷺ بـ «أم عبد الله»، كانت أعلم النساء بالسنة والفقه والطب والشعر؛ روى عنها كبار الصحابة فمن دونهم. توفيت في أيام معاوية ، وأوصت أن تدفن بالبقيع.

يُنظر: «الإصابة في تمييز الصحابة»: كتاب النساء: برقم (٧٠١)، و«الأعلام» ٣/٢٤٠.

بَكْرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، دَخَلَ علَيْها وَعِنْدَها جاريتانِ في أيّامِ مِنى يُدَفِّفانِ وَيَضرِبانِ، والنَّبيُّ ﷺ متَغَشٍّ بِثَوْبِهِ، فانتْهَرَهُمَا أبو بَكْرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فَكَشَفَ النَّبيُّ ﷺ عَنْ وَجْهِهِ وَقالَ: «دَعْهُما يا أبا بَكْرٍ فإنّها أيّامُ عيدٍ».

وفي حَديثٍ آخَرَ: قالَتْ عائِشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا: دَخَلَ عَلَيَّ رَسولُ اللهِ ﷺ وَعِنْدي جاريتانِ يُغَنّيانِ، فاضْطَجَعَ عَلى الفِراشِ وَحَوَّلَ وَجْهَهُ، وَدَخَلَ أبو بَكْرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فانتْهَرَني، وَقالَ: مِزْمارُ الشَّيْطانِ عِنْدَ رَسولِ اللهِ ﷺ، فاقْبَلَ عَلَيهِ رَسولِ اللهِ ﷺ وَقالَ: «دَعْهُما»، فلَمّا غَفَلَ غَمَزْتُهُما فَخَرَجَتا. وَكانَ اليَوْمُ يَوْمَ عيدٍ يَلْعَبونَ فيهِ السّودانُ بِالدَّرَقِ والحِرابِ، فأمّا سالتُ رَسولَ اللهِ ﷺ، وإمّا قالَ: «أتشْتَهينَ تَنْظُرينَ ؟»، فَقُلْتُ: نَعَمْ! فاقامَني وَراءَهُ وَخَدّي عَلى خَدِّهِ، وَقالَ: «دونَكُمْ يا بَني أرْفِدة»، حَتّى إذا مَلَلْتُ قالَ: «حَسْبُكِ؟» قُلْتُ: نَعَمْ. قالَ: «فاذْهَبي» (١٧٢).

---

١٧٢) أخرج البخاري في «صحيحه»: كتاب العيدين: باب الحراب والدرق يوم العيد: برقم (٩٤٩-٩٥٠).

وأخرجه مسلم في «صحيحه»: صلاة العيدين: باب الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه: برقم (٢٠٦٥).

نَصٌّ صريحٌ في الصَّحيحِ عَنِ الغِناءِ واللَّعِبِ أنّهُ لَيْسَ بِحَرامٍ.

وَيَدُلّ أيْضاً عَلى كَثيرٍ مِنَ الرُّخَصِ إباحَتُهُ ذَلِكَ في المسْجِدِ، وَوُقوفُهُ مَعَ عائِشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا حتّى مَلَّتْ مَعَ صِغَرِ سِنَّها، وانْكارُهُ عَلى أبي بَكْرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وَمنَعُهُ لَهُ عَنَ انتِهارِ الجاريتَيْنِ.

وَكانَ يَقْرَعُ سَمْعَهُ ﷺ حَدَثُ الدُّفِّ، وَصَوْتُ الجاريتَينِ، وَلَوْ كانَ في مَوْضعٍ تُضرَبُ فيه الأوتارُ لَما جَوّزَ الجُلوسَ، ففيهِ دَليلٌ عَلى أنّ صَوْتَ النِّساءِ أُحقُّ تَحْريماً مِنْ صَوْتِ الأوتارِ والمَزاميرِ.

وأمّا صَوْتُ الشَّبّابة فاحْتَجّ أهلُ التَّحْريمِ بِحَديثِ نافعٍ (١٧٣)، عِنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا (١٧٤) حينَ وَضَعَ أُصْبُعَيْهِ في أُذُنَيْهِ وَقْتَ أنْ سِمِعَ

وقد قال في «عمدة القاري» ٦/٣٨٩: قوله: «جاريتان»: تثنية جارية، والجارية في النساء كالغلام في الرجال، ويقال على من دون البلوغ منهما. ا.هـ.

١٧٣) نافع المدني، أبو عبد الله (...- ١٧ هـ =...- ٧٣٥ م): ديلمي الأصل، مجهول النسب، أصابه عبد الله بن عمر صغيراً في بعض مغازيه، ونشأ في المدينة، فصار أئمة التابعين بالمدينة، كان علامةً في فقه الدين، متفقاً على رياسته، كثير الرواية للحديث، ثقة، لا يعرف له خطأ في جميع ما رواه.أرسله عمر بن عبد العزيز إلى مصر ليعلم أهلها السنن

يُنظر: «تذكرة الحفاظ» برقم (٩٢)، «الأعلام» للزركلي ٥/٨-٦.

زُمَّارة راعٍ، وَعَدَلَ عَنِ الطَّرِيقِ، وَلَمْ يَزَلْ يَقولُ: يا نافعُ أتَسْمَعُ؟ حَتّى قُلْتُ: لا، فأخْرَجَ أُصْبُعَيْهِ مِنْ أُذُنَيْهِ، وَقالَ: هَكَذا رأيْتُ رَسولَ اللهِ ﷺ صَنَعَ (١٧٥).

فَهَذا لَيْسَ فيهِ دَلالة عَلى التَّحْريمِ، بَلْ فيهِ دَليلٌ قَوي عَلى إباحة الشَّبّابة، دَليلُ ذَلِك أنّهُ لَمْ يأمُرْ نافِعاً بِسَدِّ أُذُنَيْهِ وَلَمْ يُنْكِرْ عَلَيْهِ.

---

١٧٤) عبد الله بن عمر بن الخطاب أبو عبد الرحمن العدوي، (١٠ ق ه- ٧٣ه= ٦١٣- ٦٩٢م) خال المؤمنين، أمه وأم أخته حفصةَ زوج النبي ﷺ زينبُ بنت مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح، هاجر مع أبيه عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، كان من التمسك بآثار النبي ﷺ بالسبيل المبين، وأعطي المعرفة بالآخرة، والإيثار لها حق اليقين، لم تغيره الدنيا، ولم تفتنه، كان من البكائين الخاشعين، وعده رسول الله ﷺ من الصالحين، استصغره عن بدر فغلبه الحزن والبكاء، وأجازه يوم الخندق، نقش خاتمه «عبدُ الله لله»، أصاب رجله زجُّ رمحٍ فورمت رجلاه، فتوفي منها بمكة.

يُنظر: «معرفة الصحابة» لأبي نعيم برقم (١٦٩٥)، و«الأعلام» ٤/١٠٨.

١٧٥) أخرجه أبو داود في «سننه»: الأدب: باب كراهية الغناء والزمر: برقم (٤٩٢٤).

وأخرجه ابن ماجه في «سننه»: كتاب النكاح: باب الغناء والدف: برقم (١٩٠١)، وفيه: صوت طبل.

وأخرجه أحمد في «مسنده» برقم (٤٥٣٥).

وَكذَلِكَ فِعْلُهُ ﷺ لا يَدُلُّ عَلى التَّحْريمِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يأمُرِ ابْنَ عُمَرَ بِسَدِّ أُذُنَيْهِ، وَلَمْ يُنْكِرْ عَلى الرّاعي فِعْلَهُ، وَحاشا رَسولُ اللهِ ﷺ أنْ يَمُرَّ بِمُنْكَرٍ وَلمْ يُنْكِرْهُ، أو بِباطِلٍ وَلَمْ يُبْطِلْهُ؛ إذْ لَمْ يُعْرَفِ الحَلالُ مِنَ الحَرامِ إلّا مِن جِهَتِهِ، وَلَوْ كانَ حَراماً لَنَهى عَنْهُ أصْحابَهُ.

وأمّا سَدُّ أُذُنَيْهِ فَيَحْتَمِلُ مَعْنَيَيْنِ:

أحَدُهُما: أنّهُ سالِكٌ أتَمَّ الأحْوالِ وأفْضَلَها.

وَنَحْنُ نَقولُ: إنَّ الأولى تَرْكُهُ في كلِّ الأحْوالِ، بَلْ أكْثَرُ مُباحاتِ الدُّنْيا. اهـ بالحَرْفِ الواحِدِ (١٧٦).

وَبِمثْلِهِ شَرَحَ هَذا الحديثَ يوسُفُ بْنُ مَرْعي (١٧٧) في كتابِهِ المُسَمّى «رياضَ الأزْهارِ»، وَقالَ قَبْلَهُ:

---

١٧٦) انتهى ما نقله عن «حل الرموز» لابن غانم المقدسي ص ؟؟؟؟ باختصار وتصرُّف من المؤلف في ألفاظ يسيرة.

يُنظر: «حل الرموز» [مخطوط] الورقات: (١٨/أ- ٢٠/أ).

١٧٧) مرعي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد الكرمي المقدسي الحنبلي (...- ١٠٣٣ هـ =...- ١٦٢٤ م) مؤرخ، أديب، من كبار الفقهاء، مفسر أصولي، ولد في طوركرم بفلسطين، وانتقل إلى القدس ثم إلى القاهرة فتوفي فيها، له: «غاية المنتهى في الجمع بين الإقناع والمنتهى» في فقه الحنابلة، و«دليل الطالب»، و«مسبوك الذهب في فضل العرب»،

وأمّا الطَّبْلُ فَكَرِهَهُ الإمامُ أَحْمَدُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لِغَيْرِ حَرْبٍ. قالَ في «الفُروعِ» (١٧٨): واسْتَحَبَّهُ أحمَدُ ابنُ عَقيلٍ (١٧٩) في الحَرْبِ، وَقالَ: لِتَنْهيضِ طِباعِ الأولياءِ، وَكَشْفِ صُدورِ الأعْداءِ.

و«رياض الأزهار في حكم السماع والأوتار»، و «دليل الطالبين لكلام النحويين»، و«قلائد المرجان في الناسخ والمنسوخ من القرآن»، و«أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات»، و«بديع الإنشاء والصفات في المكاتبات والمراسلات»، وغير ذلك.

«السحب الوابلة» ٣/١١١٨، «الأعلام» ٧/٢٠٣.

١٧٨) «الفروع» لشمس الدين ابن مفلح الحنبلي ٨/٣٧٧ .

١٧٩) كذا ! وإقحام لفظة «أحمد» أمام «ابن عقيل» خطأ؛ فليس في علماء الحنابلة أحمدُ بن عقيل !

ولا وجود للفظة «أحمد» في «الفروع»، ولا غيره من كتب الحنابلة التي ذكرت المسألة، بل المذكور «ابن عقيل»، وهو علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي الظفري، أبو الوفاء، (٤٣١ - ٥١٣ هـ = ١٠٤٠ - ١١١٩ م) عالم العراق وشيخ الحنابلة ببغداد في وقته، كان قوي الحجة، اشتغل بمذهب المعتزلة في حداثته، وكان يعظم الحلاج، فأراد الحنابلة قتله، فاستجار بباب المراتب عدة سنين، ثم أظهر التوبة حتى تمكن من الظهور، له: «كتاب الفنون»، و«الفصول»، و «الرد على الأشاعرة وإثبات الحرف والصوت في كلام الكبير المتعال»، و«كفاية المفتي»، و«الجدل على طريقة الفقهاء».

يُنظر: «طبقات الحنابلة» ٣/٤٨٢، «الأعلام» ٤/٣١٣.

قالَ: وَلَيْسَ عَبَثاً فَقَدْ أرْسَلَ اللهُ الرّياحَ والرُّعودَ قَبْلَ الغُيوثِ، والنَّفْخَ في الصّورِ لِلْبَعْثِ. ا. هـ.

وَقالَ في مَوْضعٍ آخَرَ مِنْ هَذا الكِتابِ المُشارِ إلَيْهِ مِنَ البابِ الخامِسِ:

وَقَدْ نُقِلَ عَنْ سَيِّدي عِلي وَفا رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (١٨٠) أنّهُ كانَ يَرْقُصُ عَلى الدُّفِّ والشَّبّابة، وَكَذَلِكَ جَماعة كَثيرة مِنَ الصّوفيةِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ.

وَنَقَلَ غَيْرُ واحِدٍ أنّ الشَّيْخَ عِزَّ الدّينِ بْنَ عَبْدِ السَّلامِ (١٨١) تَرَكَ في آخِرِ عُمُرِهِ جَميعَ الوِلاياتِ والمَناصِبِ، وَكانَ يَحْضُرُ السَّماعَ وَيَرْقُصُ فيهِ.

---

١٨٠) الشيخ علي بن محمد بن محمد بن وفا المالكي الشاذلي القرشي الأنصاري أبو الحسن (٧٥٩ - ٨٠٧ هـ = ١٣٥٧ - ١٤٠٥ م) كان عالماً وواعظاً قال عنه الشعراني: طالعت قليلاً وكثيراً من كلام الأولياء فما رأيت أكثر علماً ولا أرقى مشهداً من كلامه. له «الباحث على الأخلاص في أحوال الخواص»، «تفسير القرآن العزيز»، «الكوثر المترع من الأبحر الأربع» في الفقه، «مفاتيح الخزائن العالية» في التصوف، «ديوان شعر».

«الأعلام» للزركلي ٥/٧، و«موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان» ٢٣/٣٣.

١٨١) عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم السلمي الدمشقي الشافعي (٥٧٧ - ٦٦٠ هـ = ١١٨١ - ١٢٦٢ م) سلطان العلماء، ولد في دمشق، وكان فيها خطيب الجامع

وَحَضرَ السَّماعَ لِلدُّفِّ والشَّبّابة مِنْ مَشاهيرِ العُلَماءِ مالا يُحْصى. كالشَّيْخِ ابْنِ عَبْدِ السَّلامِ. وَسُئِلَ عَنِ سَماعِ الآلاتِ كلِّها فَقالَ: مُباحٌ.

وَقالَ الشَّيْخَ تَقي الدّينِ ابْنُ دَقيقِ العيدِ [١٨٢]. وَرْقَصَ الفُقَراءُ بِمَجْلِسِ السَّماعِ في حُضورِهِ. فَقيلَ لَهُ: ما تَقولُ في هَذا الأمْرِ؟ فَقال: لَمْ يَرِدَ حَديثٌ صَحيحٌ عَلى مَنْعِهِ، وَلا حَديثٌ صَحيحٌ عَلى جَوازِهِ. وَهَذِهِ

الأموي، ثم القاضي والخطيب في القاهرة زمن الصالح نجم الدين أيوب الذي أكرمه ورفع شأنه، كان آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، مشاركاً في الجهاد، له: «قواعد الأحكام في إصلاح الأنام»، و«التفسير الكبير»، و« بداية السول في تفضيل الرسول»، وغيرها، توفي في القاهرة.

يُنظر: «البداية والنهاية» ١٧/٤٤١-٤٤٢، «الأعلام» ٤/٢١.

١٨٢) محمد بن علي بن وهب القشيري، أبو الفتح ابن دقيق العيد (٦٢٥ - ٧٠٢ هـ = ١٢٢٨ - ١٣٠٢ م) الأصولي المجتهد المحدث، وُلد في ينبع على ساحل البحر الأحمر، ثم قدم فيما بعد دمشق، ثم عاد إلى مصر، وولي قضاء القاهرة، له مؤلفات منها: «إحكام الأحكام في شرح عمدة الأحكام»، و«الإلمام بأحاديث الأحكام»، و«تحفة اللبيب في شرح التقريب».

يُنظر: «البداية والنهاية» ١٨/٣٠-٣١، «الأعلام» ٦/٢٨٣.

مَسْألةُ اجْتِهادٍ، فَمَنِ اجْتَهدَ وَدَلَّهُ اجْتِهادُهُ عَلى التَّحْريمِ قالَ بِهِ، وَمَنِ اجْتَهَدَ وَدَلَّهُ اجْتِهادُهُ عَلى الجوازِ قالَ بِهِ. اهـ [١٨٣].

وَلِلأُسْتاذِ الغَزالي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في هَذا المَجالِ رِسالةٌ طَويلة سَمّاها «كِتابَ البَوارِقِ والألماعِ، في الرَّدِّ عَلى مَنَ يُحَرِّمُ السَّماعَ» [١٨٤] مَنْ أرادَ ذَلِكَ فَلْيُطالِعْها.

وَذَكَرَ بها قالَ:

---

١٨٣) «رياض الأزهار في حكم السماع والأوتار» لمرعي بن يوسف الكرمي لم يُطبع فيما أعلم، ولم أصل إلى مخطوطته.

١٨٤) اسم الرسالة «بوارق الألماع في تكفير من يحرّم السماع» ليست لحجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، بل لأخيه أبي الفتوح أحمد بن محمد بن محمد الغزالي، شهاب الدين الطوسي (... - ٥٢٠ هـ = ... - ١١٢٦ م) كان عارفاً بالأحكام والفقه، ولكن غلب عليه التصوف فطاف في البلاد، وتكلم ووعظ، وألف الكثير، وصحب المشايخ من أهل زمانه، ثم اختار العزلة والخلوة بعد أن كان درس بالنظامية نيابة عن أخيه أبي حامد لما ترك التدريس زهداً فيه؛ من كتبه «لباب الإحياء» لأخيه أبي حامد الغزالي، «الذخيرة في علم البصيرة»، «سر الأسرار وتشكيل الأنوار»، «خواص التوحيد»، و«سوانح العشاق»، و«بوارق الألماع في تكفير من يحرم السماع» .

«الأعلام» للزركلي ١/٢١٤-٢١٥، و«موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان» ٢٢/٢٠٤.

فإنْ قالَ المُنْكِرُ: سَلَّمْنا جَوازَ الضَّرْبِ بِالدُّفِّ مِنْ غَيْرِ الصُّنوجِ، فإنَّ دُفَّ العَرَبِ كانَ كَذَلكَ، وَلَكِنْ لا نُسَلِّمُ جَوازَ الضَّرْبِ بِالدُّفِّ والصُّنوجِ.

قُلْنا: قَدْ ثَبَتَ بِما ذَكَرْناهُ مِنَ الأحاديثِ جَوازَ الضَّرْبِ بِالدُّفِّ مِنْ غَيرِ الصُّنوجِ، وَلَمْ يَرِدْ في الصُّنوجِ لا بِالتَّحْريمِ وَلا بِالكَراهة، فَبقيَ عَلى الإباحة، فإنِ انضَمَّ مُباحٌ لَمْ يُسْمَعْ إلى مُباحٍ صارَ الكُلُّ مُباحاً، إلّا أنْ تَدُلَّ قَرينة عَلى المَنْعِ مِنَ الجَمْعِ بَيْنَهُما بِالتَّحْريمِ كَزَواجِ الأُخْتَيْنِ، فإنَّ زَواجَ كلِّ واحِدة مِنْهُما عَلى انْفِرادِها مُباحٌ، والجَمْعُ بَيْنَهُما حَرامٌ.

وأمّا القَصَبُ الفارِسي فَلَمْ يَرِدْ فيهِ شَيْءٌ، فَهو باقٍ عَلى الإباحة.(١٨٥)

١٨٥) «بوارق الألماع» الرسالة الثالثة في أربع رسائل في جواز السماع ص ٧٤-٧٥.

فَصْلٌ

واعْلَمْ. يا أخي وَفَّقَكَ اللهُ. أنّ جميعَ ما ذَكَرْتُهُ في هَذَه الرِّسالة هو كما شاهَدْتَ، كلُّ عِبارة مَعْزيةٌ (١٨٦) إلى قائِلها، فالعُهْدة في ذَلِكَ عَلى القائِلِ.

وَما ذَكَرْتُهُ مِنَ الحَديثِ فَمِنْ كُتُبٍ كَثيرة كـ «الجامِعِ الصَّغيرِ»، و«المَناويِّ»، و«الإحْياءِ»، وَ«مُسامَراتِ ابْنِ العَرَبيِّ» وغَيْرِها.

وَغالِباً أنَّها شَهيرة لا تَحْتاجُ إلى بَيانٍ، بَلْ وَزيادة عَلى ما قُلْناهُ، فَقَدْ صارَ الأخْذُ عَلى القَدْرِ الكافي.

واعْلَمْ أنّي ما جَمَعْتُها ابتِغاءً لِمَرْضاةِ مُريدي المَذْكورِ، بَلْ وَلا انْتِصاراً لِنَفْسي! إنَّما هي مَحْضُ انتِصارٍ لِساداتي، الَّذينَ بِذِكْرِهِمْ تَنْزِلُ الرَّحَماتُ، وَتَرْتَفعُ البَلْواتُ، وَتُعْطى البَرَكاتُ؛ إذِ المُريدُ المُشارُ إليْهِ لَمْ يُذَكِّرْني ذَلِكَ

---

١٨٦) كذا، والصواب: «معزوّة» لأنّه من عزا يعزو عزواً.

إلّا بِناءً عَلى اعِتراضِ بَعْضِ مَنْ يَدَّعونَ العِلْمَ، نَعوذُ بِاللهِ مِنْ سوءِ الفَهْمِ.

لَكِنْ أقولُ: إنَّ هذا الأُسْتاذَ مَعْذورٌ، فإنَّهُ بِأوراقِهِ الَّتي وَرَّقَها مِنْ كلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ مَغْرورٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ بِبالِهِ قَوْلهُ تَعالى: ﴿ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾ ﴾ [العاديات: ١٠] لا ما في السُّطورِ، ظانّا أنَّ حَمْلَ المِحْفَظة يكْفيهِ، والتَّعَمُّمَ بِعَمائمِ العُلَماءِ يُنَجّيهِ، وَمِنْ جَهْلِهِ المُركبِ عَدَمُ إدْراكهِ دُخولَهُ في قَوْلِ مَنْ قالَ [من الطويل]:

وَقائِلةٍ لَمَّا رأتْهُ مُكَبّراً
عِمامَتَهُ: هَذا فَقيْهٌ بِلا شَكِّ
فَقُلْتُ لها: لَمْ يَدْرِ شيئاً وإنّما
يُكَبِّرُها كيْما تَقيْهِ مِنَ الصَّكِّ

وَيُجادُ عَلَيْهِ بِقَوْلِ الآخَرِ [من الطويل]:

وَقائِلةٍ مالي أرى دَرْسَ عِلْمكُمُ
بهِ الثَّوْرُ يُلْقى طالِعاً ساعة النَّحْسِ
فَقُلْتُ لها: لا تَعْجَبي أُمَّ عامِرٍ
وَدونَكِ تْحقيقَ القَضيبِ كما الشَّمْسِ

بَنو العِلْمِ لمّا آنَ لِلْحَصْدِ زَرْعُهُمْ
أتَيْنا بِثيرانٍ لِتكمِلة الدَّرْسِ (١٨٧)

١٨٧) لم أجد الأبيات الثلاثة، ولا سابِقَيها، والله أعلم.

فَصْلٌ

فإنْ قالَ هَذا الأُستاذُ. أو غَيْرُهُ.: إنَّ هذِهِ الرِّسالة مْلَفَّقةٌ مِنْ مَذْهَبَيْنِ، فَجَوابي لهُ:

إنَّ القَوْلَيْنِ. نَعَمْ. مِنْ مَذْهَبيْنِ، إلّا أنَّهُما في حُكمٍ واحِدٍ، وَعَلى فَرْضِ ذَلِكَ فَنُصوصُ الحَنفيَّةِ يُعْمَلُ بها، وَلا يُعْمَلُ بِكَلامِ الشّافِعيةِ ؟ أو العَكْسُ ؟

نَعوذُ بِاللهِ مِنَ الطَّعْنِ في أئِمّة الدّينِ، الَّذينَ هَمْ رَحْمةٌ لِلْعالَمينَ أجْمَعينَ.

أفَلا يَجوزُ تَقليدُ الحَنفيِّ لِلشّافِعي أوِ العَكْسِ ؟

حالَ كَوْنَ السّادة الصّوفيةِ قالوا: مِنْ آدابِ المُريدِ أنْ لا يَعْتَقِدَ بِمَذْهَبٍ مِنْ المَذاهبِ يُرَجِّحُهُ، بَلْ يَعتْقِدُ أنّ عِبادَتَهُ صَحيحةٌ عَلى جَميعِ المَذْاهِبِ خُروجاً مِنَ الخِلافِ، مُعْتِقداً أنّ جَميعَ أئِمّة الدّينِ مُغْتَرِفينَ مِنْ

عَيْنِ الشَّريعة المُطَهَّرة عِلْماً وَكَشْفاً وَحِسّاً وَمَعْنى، لا سيما وأنّ المُريدَ مُقْتَفٍ لِأثَرِ أشيْاخِهِ الكرِام، الَّذينَ لا يُشَكُّ في وِلايتِهِمْ؟.

قالَ أُسْتاذُنا الشَّعْراني رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ:

لا يَلْزَمُ مِنْ تَقَيُّدِ كامِلٍ مِنَ الأولياءِ . أو المُجْتَهدينَ . بالعَمَلِ بِقوْلٍ دونَ آخَرَ أنْ يَكونَ يَرى بُطْلانَ ذَلكَ القَوْلِ الَّذي لَمْ يَعْمَلْ بهِ، فَيَحْتَمِلُ أنّهُ إنَّما تَرَكَ العَمَلَ بِه؛ لِكَوْنِهِ ليْسَ مِنْ أهْلِهِ، سَواءٌ أكانَ ذَلِكَ في العَزيمة أمِ الرُّخْصة، فإنَّ كلَّ كامِلٍ وَمُجْتَهِدٍ يَرى اسْتِمدادَ سائرِ المَذْاهَبِ مِنْ عَينِ الشَّريعة، سَواءٌ المَذْاهَبُ المُسْتَعْمَلة والمُنْدَرِسة، فَكلُّ قَوْلٍ لا يَعْمَلُ بِهِ لِعَدَمِ أهْليتِهِ لهُ، فَهو في حَقِّهِ كالحديثِ المَنْسوخِ، وَفي حَقِّ غَيْرِهِ كالحديثِ المُحْكَمِ. ا. هـ مِنَ «الميزانِ الكُبرى» (١٨٨).

وَقالَ بَعْدَهُ. في غَيْرِ هَذا المَوْضِعِ في الكِتابِ المذْكورِ.:

فَصْل في بَيانِ اسْتِحالة خُروجِ شَيءٍ مِنْ أقْوالِ المُجْتَهِدينَ عَنْ الشَّريعة:

---

١٨٨) «الميزان الكبرى» ١/١٥٦.

وَذلِكَ لأنَّهُمْ بَنَوْا قَواعِدَ مَذاهِبِهِمْ عَلى الحقيقةِ الَّتي هي أعْلى مَرْتَبَتَي الشَّريعة، كَما بَنَوْها عَلى ظاهِرِ الشَّريعة عَلى حَدٍّ سَواءٍ، وأنَّهُمْ كانوا عالِمِينَ بِالحقيقة أيْضاً، خِلافَ ما يَظُنُّهُ بَعْضُ المُقلِّدينَ فيهِمْ. فَكَيْفَ يَصِحُّ خُروجُ شَيْءٍ مِنْ أقْوالِهِمْ عِنِ الشَّريعة! وَمَنْ نازَعَنا في ذلِكَ فَهو جاهِلٌ بِمَقامِ الأئِمة اهـ [١٨٩].

وَقالَ في موْضِعٍ آخَرَ مِنْ هذا الكِتابِ:

فَصْل: تَّقْليدُ المَذاهِبِ:

يَنْبَغي لِكُلِّ مُؤْمنٍ الإقبالُ عَلى العَمَلِ بِكُلِّ حَديثٍ وَرَدَ، وَبِكُلِّ قَوْلٍ اسْتُنْبِطَ؛ أيْ بِشَرْطِهِ؛ لأنَّهُ لا يَخْرُجُ عَنْ مَرْتَبَتَي الميزانِ أبَداً. اهـ [١٩٠].

وَذَكَرَ الأُسْتاذُ الباجوري [١٩١] في «حاشيتِهِ عَلى الجوْهَرة» عِنْدَ قَوْلِهِ:

---

١٨٩) «الميزان الكبرى» ١/١٨١.

١٩٠) «الميزان الكبرى» ١/١١٩، وليس في المطبوع عنوانٌ للفصل هو «تقليد المذاهب»، والله أعلم.

١٩١) إبراهيم بن محمد بن أحمد الباجوري (١١٩٨ - ١٢٧٧ هـ = ١٧٨٤ - ١٨٦٠ م) شيخ الجامع الأزهر، من فقهاء الشافعية، نسبته إلى الباجور (من قرى المنوفية) بمصر ولد

فَواجِبٌ تَقْليدُ حَبْرٍ منْهُمُ

قالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

لَمّا قَدَّمَ أنَّ الأئمّةَ المذْكورينَ هُمُ هُداةُ هَذِهِ الأُمّة، وَلَمْ يَكُنْ كُلُّ واحِدٍ مِنَ النّاسِ قادِراً عَلى الِاجْتِهادِ المُطْلَقِ.

وَذَكَرَ هُنا: أنَّهُ قَدْ يَجِبُ عَلى كُلِّ مَنْ لَمْ يَكُنْ فيهِ أهْليّة الِاجْتهادِ المُطْلَقِ وَلَوْ كانَ مُجْتَهِدَ مَذْهَبٍ أو فَتْوى أنْ يَقْتَدي تَقْليدَ إمامٍ مِنَ الأئمّة الأرْبَعة في الأحكام الفَرْعيةِ، وَما جَزَمَ بِهِ النّاظِمُ هَوَ مذْهبُ الأُصوليّينَ وَجَمْهورُ الفُقَهاءِ والمُحَدِّثينَ، واحْتَجّوا بِقَوْلِه تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [النحل: ٤٣]، فأوجَبَ السُّؤالَ عَلى مَنْ لَمْ يَعَلْم، وَيَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ الأخْذُ بِقَوْلِ العالِمِ وَذَلِكَ تَقْليدٌ لهُ.

ونشأ فيها، وتعلم في الأزهر، وكتب حواشي كثيرة منها: «حاشية على مختصر السنوسي» في المنطق، و«تحفة المريد على جوهرة التوحيد»، و«حاشية على أم البراهين والعقائد للسنوسي» توحيد، و«المواهب اللدنية» على شمائل الترمذي، و«فتح الخبير اللطيف» في الصرف، و«الدرر الحسان فيما يحصل به الاسلام والإيمان»، و«تحفة البشر على مولد ابن حجر» وغير ذلك.

يُنظر: «الأعلام» للزركلي ١/٧١.

وَقالَ بَعضُهُمْ:

لا يَجِبُ تَقْليدُ واحِدٍ بعَيْنِهِ، بَلْ لهُ أنْ ياخُذَ فيما يَقَعُ لَهُ أنْ ياخُذَ فيما يَقَعُ لَهُ بهذا المَذْهَبِ تارة وَبِغيْرِهِ أُخْرى، فَيَجوزُ صَلاةُ الظُّهْرِ عَلى مَذْهَبِ الإمامِ الشّافِعي، وَصَلاةُ العَصْرِ عَلى مَذْهَبِ مالِكٍ وَهكَذا.

وَخَرَجَ بِقَوْلِنا: "مَنْ لَمْ يكُنْ فيهِ أهْليّة الِاجْتهادِ المُطْلَقِ"، مَنْ كانَ فيهِ أهْليَّتُهُ؛ فإنّهُ يَحْرُمُ عَلَيْهِ التَّقْليدُ فيما يَقَعُ لهُ عِنْدَ الأكْثَرِ، واختارَهُ الآمُديُّ(١٩٢) وابْنُ الحاجِبِ(١٩٣) والسُّبْكي(١٩٤)؛ لِتَمكُّنِهِ مِنَ الِاجْتِهادِ

---

١٩٢) علي بن محمد بن سالم التغلبي، أبو الحسن، سيف الدين الآمدي (٥٥١ - ٦٣١ هـ = ١١٥٦ - ١٢٣٣ م) أصولي، باحث. أصله من آمد ديار بكر ولد بها، وتعلم في بغداد والشام، وانتقل إلى القاهرة، فدرس فيها واشتهر، وحسده بعض الفقهاء فتعصبوا عليه ونسبوه إلى فساد العقيدة والتعطيل ومذهب الفلاسفة، فخرج إلى حماة ومنها إلى دمشق فتوفي بها.له «الإحكام في أصول الأحكام»، و«منتهى السول»، و«دقائق الحقائق»، و«المبين في شرح معاني الحكماء والمتكلمين».

يُنظر: «الأعلام» للزركلي ٤/٣٣٢.

١٩٣) عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، أبو عمرو جمال الدين ابن الحاجب (٥٧٠ - ٦٤٦ هـ = ١١٧٤ - ١٢٤٩ م) فقيه مالكي، كردي الأصل، كان أبوه حاجباً فعُرف به! له: «الكافية» في النحو، و«الشافية» في الصرف، و«مختصر الفقه» استخرجه من ستين كتاباً

الَّذي هو أصْلُ التَّقْليدِ! وأمّا التَّقْليدُ في العقائِدِ فَقَدْ عَلِمْتَهُ في صَدْرِ هَذِهِ المَنْظومة.

وَقَوْلهُ: حَبْرٍ منْهُمُ. بِفَتْحِ الحاءِ وَكَسْرِها [١٩٥]. أيْ: عالمٍ حاذقٍ مِنْ الأئمّة الأرْبَعةِ، وَلا يَجوزُ تَقليدُ غَيرِهِم. وَلو كانَ مِن أكابرِ الصَّحابة. لِأنّ مَذاهبَهُمْ لَمْ تُدَوّنْ، وَلمْ تُضْبَطْ كَمذاهِبِ هؤُلاءِ، لكِنْ جَوَّزَ بَعْضُهُمْ ذَلِكَ في غَيْرِ الإفْتاءِ؛ كما قال:

في فقه المالكية، و«المقصد الجليل» قصيدة في العروض، و«الأمالي النحوية»، و«منتهى السول والأمل في علمي الأصول والجدل» في أصول الفقه، و«مختصره»، و«الإيضاح» في شرح المفصل للزمخشري.

يُنظر: «الأعلام» للزركلي ٤/٢١١.

١٩٤) تقي الدين علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي، (٦٨٣ - ٧٥٦ ه = ١٢٨٤ - ١٣٥٥ م) شيخ الاسلام في عصره، وأحد الحفاظ المفسرين المناظرين، والد تاج الدين عبد الوهاب صاحب «طبقات الشافعية الكبرى»، والذي ترجم له فيها بإطنابٍ وإسهاب ١٠/١٣٩- ٣٣٩، واستهل ترجمته بقوله: الشيخ الإمام الفقيه المحدث الحافظ المفسر المقرئ الأصولي المتكلم النحوي.له: «مختصر طبقات الفقهاء»، «شفاء السقام في زيارة خير الأنام»، و«الابتهاج في شرح المنهاج»، وغيرها.

يُنظر: «طبقات الشافعية الكبرى» ١٠/١٣٩- ٣٣٩، «الأعلام» للزركلي ٤/٣٠٢.

١٩٥) يُنظر: «تاج العروس» (حبر) ١٠/٥٠٣-٥٠٤.

وَجائزٌ تَقْليدُ غيرِ الأَرْبَعَهْ في غير إفْتاءٍ وَفي هذا سَعَهْ

أ.هـ بتمامِهِ [١٩٦].

فَعَلى هَذا إذا كانَ يَجوزُ تَقْليدُ غَيْرِ الأَرْبَعة، كَعائِشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَعَبْدِ اللهِ بنِ عُمَرَ، وَعَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعودٍ [١٩٧]، وَعَطاءٍ [١٩٨]، وَمُجاهِدٍ

---

١٩٦) «تحفة المريد على جوهرة التوحيد» ص ١٠٧.

١٩٧) عبد الله بن مسعود الهذلي، (...- ٣٢ هـ= ...- ٦٥٣ م) ، أبو عبد الرحمن، من السابقين الأولين إلى الإسلام، أول من جهر بقراءة القرآن بمكة، هاجر الهجرتين وشهد المشاهد كلَّها، كان خادم رسول الله ﷺ وصاحب نعليه وطَهوره، أرسله عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى الكوفة معلّماً، وولي بيت مالها لعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مدةً، ثم عاد إلى المدينة وتوفي فيها.

يُنظر: «الإصابة في تمييز الصحابة» برقم (٤٩٤٥)، و«الأعلام» ٤/١٣٧.

١٩٨) عطاء بن أبي رباح الفهري القرشي، (٢٧ - ١١٤ هـ = ٦٤٧ - ٧٣٢ م) من مشاهير التابعين، كان عبداً أسودَ. ولد في جند (باليمن) ونشأ بمكة فكان مفتي أهلها ومحدثهم وفقيهم وعالمهم. روى عن أسامة بن زيد وجابر بن عبد الله ورافع بن خديج وعبد الله بن عمرو بن العاص وأم المؤمنين عائشة وكثير من الصحابة.

يُنظر لترجمته: « تذكرة الحفاظ» برقم (٩٠)، «الأعلام» ٤/٢٣٥.

[١٩٩]، وَداودَ [٢٠٠]، واللَّيثِ [٢٠١]، وَسُفْيانَ بْنِ عُيَيْنة، وَمُحمّدٍ بنِ جَريرٍ [٢٠٢]، وَعُمَرَ بِنْ عَبْدِ العزيزِ [٢٠٣]، والأعمَشِ [٢٠٤]، والشَّعْبيِّ [٢٠٥]،

---

١٩٩) مجاهد بن جبر. بفتح الجيم وسكون الموحدة. أبو الحجاج، المخزومي، مولاهم، المكي، (٢١ - ١٠٤ هـ = ٦٤٢ - ٧٢٢ م) شيخ القراء والمفسرين. أخذ التفسير عن ابن عباس، قرأه عليه ثلاث مرات، روى له الجماعة.

يُنظر لترجمته: «البداية والنهاية» ٦/١٣-٧، «الأعلام» ٥/٢٧٨.

٢٠٠) داود بن علي الأصبهاني الظاهري الفقيه أبو سليمان، كان إماماً ورعاً زاهداً ناسكاً، وفي كتبه حديث كثير لكن الرواية عنه عزيزة جداً؛ أنكر عليه الإمامُ أحمد قوله: لفظي بالقرآن مُحدَث.

٢٠١) الليث بن سعد عبد الرحمن الفهمي بالولاء، أبو الحارث (٩٤ - ١٧٥ هـ = ٧١٣ - ٧٩١ م) إمام أهل مصر في عصره، حديثا وفقهاً، أصله من خراسان، ومولده في قلقشندة، ووفاته في القاهرة، وكان من الكرماء الأجواد. وقال الإمام الشافعي: الليث أفقه من مالك، إلا أن أصحابه لم يقوموا به. أخباره كثيرة، وله تصانيفُ، ولابن حجر العسقلاني كتاب «الرحمة الغيثية في الترجمة الليثية» في سيرته.

يُنظر لترجمته: «تذكرة الحفاظ» برقم (٢١٠)، و«الأعلام» ٥/٢٤٨.

٢٠٢) محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر، (٢٢٤ - ٣١٠ هـ= ٨٣٩ - ٩٢٣ م) الإمام العلم الفرد الحافظ إمام المفسرين، وإمام المؤرخين، الحافظ الفقيه المجتهد، أحد الأعلام وصاحب التصانيف: «تفسيره» و«تاريخه» عمدتا المفسرين والمؤرّخين؛ لقدمِهما وروايتهما بالإسناد، له كذلك: «تهذيب الآثار»، و«اختلاف الفقهاء».

يُنظر لترجمته: «تذكرة الحفاظ» برقم (٧٢٨)، و«الأعلام» ٦/٦٩.

٢٠٣) الخليفة الراشدي الخامس، الإمام العادل، أمير المؤمنين، أبو حفص، عمر بن عبد العزيز بن مروان الأموي، (٦١- ١٠١ه= ٧٨١- ٧٢٠ م) أمه بنت عاصم بن عمر بن الخطاب. خلافته سنتان وخمسة أشهر كأيام مدة خلافة الصديق، حفظ القرآن في صغره، فبعثه أبوه من مصر، فتفقه في المدينة حتى قيل: إنه بلغ رتبة الاجتهاد، وله في الفقه آراءٌ مبثوثة في كتب العلم، ودواوين الآثار. مناقبه كثيرة شهيرة، وقد صنف فيها عدد من العلماء مصنفات، كان آيةً في العلم والزهد، والتقوى والورع، في نفسه وأهله وما ولي، وأثار حنق بني أمية إذ انتزع من أيديهم مظالمَ لا تُحصى مما اغتصبوه بسلطانهم.

يُنظر: «سير أعلام النبلاء» ٥/١١٤-٢٤٨، و«الأعلام» ٥/٥٠.

٢٠٤) سليمان بن مهران الأسدي ولاءً، أبو محمد الملقب بالأعمش(٦١ - ١٤٨ هـ = ٦٨١ - ٧٦٥ م) تابعي ثقة؛ رأى أنس ابن مالك وأبا بكرة الثقفي، أخرج له الجماعة، كان عالماً بالقرآن والحديث والفرائض، رأساً في العلم النافع والعمل الصالح. قال شعبة: ما شفاني أحدٌ في الحديث ما شفاني الأعمش.

يُنظر لترجمته: « تذكرة الحفاظ» برقم (١٤٩)، «الأعلام» ٣/١٣٥.

٢٠٥) عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار، الشعبي. نسبةً إلى شعب وهو بطن من همدان. الحميري الكوفي، أبو عمرو (١٩ - ١٠٣ هـ = ٦٤٠ - ٧٢١ م) فقيه راوية، من رجال الحديث الثقات من التابعين، يُضرَب المثل بحفظه. اتصل بعبد الملك بن مروان، فكان نديمه وسميره ورسوله إلى ملك الروم.واستقضاه عمر بن عبد العزيز.

يُنظر لترجمته: «تذكرة الحفاظ» برقم (٧٦)، و«الأعلام» ٣/٢٥١.

وإسْحاقَ [٢٠٦] في غيرِ إفْتاء؛ وَهو أنْ يُقلِّدَ الشَّخْصُ بِنَفْسِهِ، وَلَيْسَ لهُ أنْ يُفْتي، فَكَيْفَ لا يَسوغُ تَقْليدُ أحَدِ الأرْبَعةِ المُجْمَعِ عَلَيهِمْ في قَوْلٍ، سَواءٌ كانَ ذَلِكَ عَزيمةً أو رُخْصة؟

فَلْيتَدَبَّرْ مَنْ لا فَهْمَ عِنْدَهُ، وَلْيتَنَبَّهْ فَلَعلَّهُ غافِلٌ عَمّا ذُكِرَ !

وَذَكَرَ الشَّيْخُ مَرْعي الحنبَلي في رِسالَتِهِ المُسَمّاةِ «رياضَ الأزْهارِ» أيْضاً، ناقِلاً عَنِ الإمامِ، قالَ:

فَقَدْ قالَ الإمامُ الشّافِعيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنَّ اللهَ لا يُعذِّبُ عَلى فِعْلٍ اخْتَلَفَ فيهِ العُلَماءُ [٢٠٧].

---

٢٠٦) إسحاق بن إبراهيم بن مخلد ابن راهويه، أبو يعقوب التميمي المروزي، (١٦١ - ٢٣٨ هـ = ٧٧٨ - ٨٥٣ م) أحد الأئمة وكبار الحفاظ، قال أحمد: إذا حدثك أبو يعقوب أمير المؤمنين فحسبك به، ولد في مرو وطاف البلاد رحلةً في جمع الحديث: أخذ عنه الأئمةُ الأعلام كأحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي له: «المسند».

قيل في سبب تلقيبه بابن راهويه: إن أباه ولد في طريق مكة فقال أهل مرو: راهويه ! أي: وُلد في الطريق.

يُنظر لترجمته: «تذكرة الحفاظ» برقم (٤٤٠)، «الأعلام» ١/٢٩٢.

٢٠٧) ذكره الهيتمي في «كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع» ص ٩٠.

وَقالَ أصحابُنا: مَنْ أتى فِعْلاً مُخْتَلَفاً فيهِ يَعتْقِدُ تَحْريمَهُ بِلا تأويلٍ أو تَقْليدٍ فَسَقَ، وَرُدَّتْ شَهادَتُهُ إذا تَكَرَّرَ، وأنْ كانَ مُعْتَقِداً إباحَتَهُ أو مُقَلِّداً، كَحِنَفيٍّ تزَوَّجَ بِلا وَليٍّ فَلا تُرَدُّ.

وَقالَ مالكٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: تُرَدُّ؛ لِأنّهُ فَعلَ ما يَعْتَقِدُ الحاكِمُ تَحْريمَهُ.

قالَ ابْنُ عَبْدِ السَّلامِ: إنَّ اللهَ تَعالى لَمْ يوجِبْ عَلى أحَدٍ أنْ يَكونَ مالِكياً وَلا شافعياً وَلا حَنَفياً وَلا حَنْبَليّاً، والواجِبُ عَلَيهِمُ اتِّباعُ الِكتابِ المُنْزَلِ، والنَّبيِّ المُرْسَلِ، وَمَنِ اقْتَدىَ بِقَوْلِ عالِمٍ فَقَدْ سَقَطَ عنْهُ المَلامُ، والسَّلامُ.

وَقال شَيخُ الإسْلامِ ابْنُ تَيْمية (٢٠٨): مَنَ أوجَبَ تَقْليدَ إمامٍ بَعَيْنِهِ اسْتُتيبَ، فإنْ تابَ والّا قُتِلَ، وإنْ قالَ ينْبَغي كانَ جاهِلاً ضالًّا، قالَ:

---

٢٠٨) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله، أبو العباس تقي الدين، الحرّاني الدمشقي الحنبليّ، (٦٦١ – ٧٢٨ هـ = ١٢٦٣ – ١٣٢٨ م) وصفهُ الحافظ ابن كثير بشيخ الإسلام العالم العلم العلامة الفقيه الحافظ الزاهد العابد المجاهد القدوة، وُلد في حرّان، وقدِم به أهلُه دمشقَ صغيراً، سمع من ابن عبد الدائم، ومجد الدين ابن عساكر، وابن علان وكثيرٍ سواهم. له: «الفتاوى»، و«درء تعارض العقل والنقل»، و«منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية»، و«اقتضاء الصراط المستقيم»، وغير ذلك كثير. مات سجيناً في قلعة دمشق وكان سبب سجنِهِ تعصُّب بعض المتفقهة في أشياءَ اجتهادية

ومَنْ كانَ مُتَّبِعاً لإمامٍ فَخالَفَ بَعْضَ المسائِلِ بِقوةِ الدَّليلِ، أو لِكَوْنِ أحَدِهُما أعْلَمَ واتْقى، فَقَدْ أحْسَنَ وَلمْ يُقْدَحْ في عَدالَتِهِ بِلا نِزاعٍ، وَقالَ أيْضاً: بلْ يَجِبُ، فإنَّ أحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ نَصَّ عَلَيْهِ. اهـ حَرْفياً (٢٠٩).

فَحينَئِذٍ قَدْ عَلِمْنا مِمّا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ وَنَقْلُهُ عِنِ الأساتِذة الكِرامِ، أنْ لا حُجّة لِمُعْتَرِضٍ داخلٍ في قَوْلِهِ تَعالى: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ ﴾ [التوبة: ٣٢]، ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ﴾ [الأنعام: ١٤٩] ﴿ وَٱللَّهُ ﴾ . تَعالى . ﴿ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ ﴾ [يوسف: ٢١].

قالَ تَعالى: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ [الإسراء: ٨١].

لا يُثرّب على من قال بها، وله فيها سلفٌ. قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ يصف يومَ جنازته: كان يوماً مشهوداً لم يُعهَد بدمشق مثلُهُ.

يُنظر: «البداية والنهاية» ١٨/٢٩٥-٣٠٢، و«الأعلام» ١/ ١٤٤.

٢٠٩) سلف مني القول بأنني لم أصل إلى مخطوط «رياض الأزهار» للكرمي، وأنه لم يُطبع بعدُ والله أعلم.

إظْهارُ الكَراماتِ والخَوارِقَ

هَذا؛ وَقَدْ نَقَلَ إليَّ بَعْضُ الثِّقاتِ عَنْ الأُستاذِ المذْكورِ عِنْدَما أورَدْتُهُ أنَّهُ قالَ:

لا اعْتراضَ لي في شَيْءٍ مِمّا تَذْكُرُهُ، إلّا أنّي أعْترِضُ في أشْياءَ خِلافَ ذَلِكَ، مِنْها أكْلُهُمُ النّارَ؛ وَدُخولُهُمْ بها، وَضَرْبُهُمُ السِّلاحَ، وَهذا لَمْ يَرِدْ بِهِ شَيْءٌ عَنِ الشّارِعِ.

وَمِنْها: أنّهُمْ يَنْزِلونَ الأسْواقَ عَلى صورة خارِقة للِعادة، وَبهذا الأمْرِ نَصَّتِ العُلَماءُ أنَّ هكذا أشْياءَ تُرَدُّ بها شَهادة الفاعِلِ.

وَمنْها أنْ تَرى غالِبَهُمْ يَقولُ: «لا مَوْجودَ إلّا اللهُ».

وَبِذَلِكَ يَسْتَشْعِرُ السّامِعُ أنّهُمْ يَنْفونَ المَوْجوداتِ المْحسوسة، وَهَذا أمرٌ بُطْلانُهُ ظاهِرٌ.

وَجَوابي في لَمْسِ النّارِ وَضَرْبِ السِّلاحِ: أنّهُما وانْ لَمْ يكنْ فِعْلُهُما مَوْجوداً بِمكاني، بَلْ وَلا عِنْدَ مَنْ يُنْسَبونَ إليَّ مُطْلقاً، لَكِنّي أقولُ: إنَّ

المُعتَرِضَ عَلى السّادْةِ الرِّفاعيةِ مَغْلوبٌ، وَمِنَ العِلْمِ والعَقْلِ لاشَكَّ مَسْلوبٌ، وَعَنْ ديارِ لَيْلى مَحْجوبٌ، وإلى هَوى نَفْسِهِ وَشَيْطانِهِ مَجْلوبٌ.

وَسَنَدُهُمْ بِذَلِكَ تَواتُرُ ما نُقِلَ عَنْ سَيِّدِهِمُ الأعْلى أحْمَدَ الرِّفاعيِّ [٢١٠] عِنْدَ زيارَتِهِ لِلسَّيِّدِ الخَليلِ. عَلى نَبيِّنا وَعَلَيهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ. أمدَّهُ بهاتَيْنِ الخصْلتَيْنِ بِأنْ قالَ. حَسْبَما أخْبَرَنا رِفاعيٌّ .: خُذْ لَكَ وَلِأتْباعِكَ هاتَيْنِ الكَرامَتَيْنِ: أنْ لا تُؤَثِّرَ فيكُم النّارُ، وَلا يْقطَعَ فيكُمُ السِّلاحُ. وَناهيكَ بِذَلِكَ.

وَحَسْبُنا صِدْقُ هَذا الإمامِ العارِفِ الواصِلِ الَّذي أجمَعَتْ عَلى وِلايَتِه الإنْسُ والجِنُّ والملائِكةُ.

---

٢١٠) الشيخ أحمد بن أبي الحسن علي بن أبي العباس الرفاعي الشافعي، (٥١٢ – ٥٧٨ هـ = ١١١٨ – ١١٨٢ م) أبو العباس، وأبو العلمين؛ لأن أمه حسنية وأبوه حسيني!.ولد في واسط في العراق، وتوفي في أم عبيدة بين واسط والبصرةفي العراق. تفقه وتأدب في واسط، وتصوف فانضم إليه خلق كثير من الفقراء كان لهم به اعتقاد كبير انتهت إليه الرئاسة في علوم الطريق، وله كلام عال في التصوف وتربية المريدين، له: «حالة أهل الحقيقة مع الله»، «البرهان المؤيد»، «الوصايا».

يُنظر: «الأعلام» للزركلي ١/١٧٤، و«موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان» ٢٢/٢٠٠-٢٠١.

فإنْ قالَ: إنَّ هذا السَّنَدَ لَيْسَ بِشَرْعيٍّ وَبرأيهِ ضعَّفَهُ فأقولُ: إنَّ السّادة الرِّفاعيةِ ـ أمدَّنا اللهُ بِإمْداداتِهِمْ ـ هُمُ المُؤَيِّدونَ؛ لِما قالَتْ عُلَماءُ الدّينِ.

فَقَدْ نَصَّ العُلَماءُ أنّ النّارَ بَنَفْسِها لا تَحْرِقُ، والسِّلاحُ لا يَقْطَعُ، وَحُقَّ لِمَنْ قالَ ذَلِكَ أنْ يَتولّى الفِعلَ بِنَفْسِهِ إظْهاراً لِصِدْقِ المَقالة.

وَماذا يكونُ عَلى المُرِيد إذا أكلَ النّارَ وَلَمْ تَضُرَّهُ، أو ضَرَبَ السِّلاحَ وَلَمْ يَقْطَعْ فيهِ؟ فأيُّ مَعيبٍ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ؟

مَعَ أنّهُ في رُؤْيةِ ذَلِكَ اجْتِلابٌ لِلقُلوبِ الهارِبة عَنْ مَوْلاها، وَقَدْ جُرِّبَ ذَلِكَ! وأيُّ مَحذورٍ في ذَلِكَ إذا غَلَبَ عَلى ظَنِّ الفاعِلِ السَّلامة؟ فَحسْبُنا اللهُ وَنِعْمَ الوَكيلُ.

وأمّا خَرْقُهُمُ العاداتِ بِنُزولِهِمُ الشَّوارِعَ بالذِّكْرِ المُنَبِّهِ لِكُلِّ غافِلٍ، فَقَدْ نَبَّهْنا بِصَدْرِ هَذِهِ الرِّسالة ما يزيلُ الشُّبْهةَ وَما في ذَلِكَ مِنَ الخيرِ والتَّحْسينِ، وَلا يَخْفى ما في ذَلِكَ مِنَ التَّهْذيبِ لِلنَّفْسِ الَّتي هي أساسُ الِانقِطاعِ عَنِ اللهِ تَعالى؛ قالَ تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ [يوسف: ٥٣].

قالَ ابْنُ عُبادٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (٢١١). عِنْدَ قَوْلِهِ (٢١٢): «ادْفِنْ وُجودَكَ في أَرْضِ الْخُمولِ، فَما نَبَتَ مِمّا لَمْ يُدْفَنْ لا يَتِمُّ نَتاجُهُ». كلاماً طَويلاً مُلَخَّصُهُ:

إنّ الشَّخْصَ إذا غَصَّ بِلُقْمة، وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ ماءٌ ليسيغَها بِهِ سِوى الخمرِ جازَ لَهُ الشُّرْبُ مِنْهُ شَرْعاً بِقَدْرِ ما يُسيغُ بِهِ اللُّقْمة، وَذَلِكَ مخافة عَلى فَواتِ الحَياةِ الفانيةِ.

فإذا كانَ الخمرُ المَقطوعُ بِتَحْريمِهِ شرْعاً يَجوزُ شُرْبُهُ لِإساغة اللُّقْمة مَخافة عَلى حَياةٍ فانيةٍ، فَكَيْفَ لا يَجوزُ لِمَنْ خافَ فَواتَ الحياةِ الباقيةِ أنْ

---

٢١١) محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن مالك بن إبراهيم بن يحيى بن عباد الرندي. نسبةً إلى بلدة رند جنوب اسبانيا. الصوفي، أبو عبد الله (٧٣٣ - ٧٩٢ هـ = ١٣٣٣ - ١٣٩٠ م)، تنقل بين فاس وتلمسان ومراكش وسلا وطنجة، واستقر خطيباً للقروين بفاس وتوفي بها، له: شرح الحكم العطائية وسماه «غيث المواهب العلية»، و«بغية المريد» نظم الحكم العطائية، «الرسائل الكبرى»، و«الرسائل الصغرى»، «الدرة المشيدة في شرح المرشدة»، «فتح الطرفة». «الأعلام» للزركلي ٥/٢٩٩، و«موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان» ٢٢/١٥٠.

٢١٢) القائل هو ابن عطاء الله السكندري، والقول هو الحكمة الحادية عشرة من حِكَمه.

يَتَعاطى الأشْياءَ لإفْناءِ النَّفْسِ، وإنْ كانَ فيها بِظاهِرِ الشَّرْعِ نَوْعُ مُخالَفة؟.
اهـ مُلَخَّصاً [٢١٣].

٢١٣) «الحكم العطائية» لابن عطاء الله السكندري شرح ابن عباد النفري الرندي ص ١١٧ بتصرف.

عِباراتُ القَوْمِ

هَذا إذا كانَ الفاعِلُ بيدِ اخْتيارِهِ، وأمّا مَنْ هو مَسْلوبُ الاخْتيارِ، غارِقٌ في أسْرارِ الأنْوارِ، مُغْتَرِفٌ مِنْ أبْحُرٍ عَذَباتٍ رَبّانيةٍ، غائِبٌ عَنْ فِعْلِهِ بِالكُلّيةِ، فَنَصَّتِ العُلَماءُ عَلى أنْ لا تَكْليفَ إلّا بِفِعلٍ اخْتيْاري.

والعَجَبُ كلُّ العَجَبِ كَيْفَ الِاعْتِراضُ عَلى مَنْ قالَ: «لا مَوْجودَ إلّا اللهُ» ؟! كأنّهُ لَمْ يَخْطُرْ بِبالِهِ لا مَوْجودَ مِنَ الآلهة والضِّدِّ والتَّشبيهِ والنَّظيرِ والمَثيلِ إلّا اللهُ.

هذا إذا جَعَلَهُ مِنْ عامّة الأُمّة، واحْتَقَرَهُ مِنْ أنْ يكونَ مِنَ الخَواصِّ الَّذينَ هُمْ غارِقونَ في بَحْرِ التَّوْحيدِ.

وَقَدْ ذَكَرَ الشَّيْخُ مَرْعي الحَنْبَلي في كِتابِهِ المُسَمّى «سُلوكَ الطَّريقة في الجمعِ بَيْنَ كلامِ أهلِ الشَّريعة والحَقيقة» قالَ:

وَلِأنّهُ يَصْدُرُ عِنِ العارِفِ بِاللهِ إذا اسْتَغْرَقَ في بَحْرِ التَّوْحيدِ والعِرْفانِ بِحَيْثُ تَضْمَحِلُّ ذاتُهُ في ذاتِهِ، وَصِفاتُهُ في صِفاتِهِ، وَيَغيبُ عَنْ

كلِّ ما سِواهُ، عِبارة تُشْعِرُ بِالحُلولِ والاتِّحادِ، لِقُصورِ العِبارة عَنْ بَيانِ حالهِ الَّذي تَرَقّى إليْهِ، وَحَيثُ كانَ كَذَلِكَ، وامْكَنَ الحملُ عَلى مِثْلِ ذَلِكَ فَلا إنْكار.

ثمَّ قالَ بَعْدَ هَذا الموْضعِ. أيْ في غَيْرِهِ مِنَ الكِتابِ المذْكورِ:

واعْلَمْ. أيَّدَكَ اللهُ تَعالى. أنّ أظْهَرَ الموْجوداتِ وأجْلاها هو اللهُ! وَجَمْيعُ ما في العالمِ شَواهدُ ناطِقة، وأدِلّة شاهِدة بِوُجودِ خالِقها سبْحانَهُ.

لِكِنْ لمّا زادَ ظُهورُهُ، انْبَهَرَتِ العُقولُ، وَدُهِشَتْ عَنْ إدْراكِهِ، كما أنّ الخُفّاشَ ضَعيفٌ يَبْهَرُهُ نورُ الشَّمْسِ، فلا يَرى شَيْئاً إلّا إذا امْتَزَجَ الضَّوْءُ بِالظِّلامِ، فَكَذلِكَ عُقولُنا ضَعيفة، وَجَمالُ الحَضْرة الإلهيّة في نِهاية الإشراقِ والاسْتِنارة، فَصارَ ظُهورُهُ سَبَبَ خَفائِهِ، فَسُبْحانَ مَنِ احْتَجَبَ بِإشراقِ أنْوارِه، واخْتَفى عَنِ الأبْصارِ بِمزَيدِ ظُهورِهِ. اهـ بالحرْفِ الواحِدِ (٢١٤).

وَذَكَرَ الأسْتاذُ الغَزالي في «الإحْياءِ» قالَ:

---

٢١٤) «سُلوكَ الطَّريقة في الجمعِ بَيْنَ كلامِ أهلِ الشَّريعة والحَقيقة» لمرعي بن يوسف الكرمي لم يُطبع، ولم أصل إلى مخطوطته.

لِلتَّوْحيدِ أرْبَعُ مَراتِبَ، وَهو يَنقَسِمُ إلى لُبٍّ، وإلى لُبِّ اللُّبِّ، وإلى قِشرٍ، وإلى قِشرِ القِشرِ:

فالرُّتْبة الأولى مِنَ التَّوْحيدِ هي: أنْ يَقولَ الإنْسانُ بِلِسانِهِ: «لا إلهَ إلّا اللهُ»، وَقَلْبُهُ غافِلٌ عَنْهُ، أو مُنْكِرٌ لهُ، كَتوْحيدِ المُنافِقينَ.

والثّانيةُ: أن يُصَدِّقَ بِمَعنى اللَّفْظِ قَلْبُهُ كما صَدَّق بِهِ عُمومُ المُسلِمينَ، وَهو اعْتِقادُ العَوامِّ.

والثّالِثةُ: أنْ يُشاهِدَ ذَلَكَ بِطَرِيقِ الكَشْفِ بِواسِطة نورِ الحَقِّ، وَهو مَقامُ المُقَرَّبينَ، وَذَلِكَ بِأنْ يَرى أشْياءَ كِثَيرة، وَلَكِنْ يَراها عَلى كَثْرَتِها صادِرة عَنِ الواحِدِ القَهّارِ.

والرّابِعةُ: أنْ لا يَرى في الوُجودِ إلّا واحِداً، وَهيَ مُشاهَدة الصِّدّيقينَ، وَتُسَمّيهِ الصّوفيةُ الفَناءَ في التَّوْحيدِ. اهـ [٢١٥].

فَلا مَعْنى لِمَعْرِفَتِهِ تعالى إلّا عَدَمُ النَّظَرِ إلى غَيْرِهِ. وَلأنَّ غَيْرَهُ عَدَمٌ، والعَدَمُ هو ضِدُّ الوُجودِ، وَمَنْ لا وُجودَ لَهُ لا حَياةَ لهُ. وَلا يَخْفى عَلى كلِّ ذي باصرة ما يَحْصُلُ مِنْ سرَيانِ حالِ المُجاورة لِلْمُجاورِ ! أما تَرى

---

٢١٥) «إحياء علوم الدين» ٣٧٨/٤.

أنّ الحَديدَ إذا وَضَعَهُ الحَدّادُ في الكيرِ تَغَيَّرَ وَصْفُهُ، وصارَ لِسانُ حالِهِ يَقولُ: «أنا النّارُ أنا النّارُ»؛ لِما حَلَّ فيهِ مِنَ النّارِ؛ لمُجاورَتِها والتَّلَوُّنِ بِها.

وَمِنْ هُنا يُعْلَمُ مأخَذُ كَلامِ أهْلِ المَحبّة في اللهِ وَمُدَّعاهُمُ المُشْعِرُ بالحلولِ والِاتّحادِ، والّا فَلا مَعْنى لِقَوَلهِ تعالى: «ما زالَ عَبْدي يَتَقَرَّبُ إلَيَّ بِالنَّوافِلِ» إلى آخرِ الحديثِ (٢١٦).

وَفي العِبارة الحاصِلةِ بالمُجاوَرة كما قَدّمْتُ.

وَحُسْنُ الظَّنِّ بِكلِّ مَنِ التَجأ إلى اللهِ تَعالى مِنَ الأخْلاقِ الكَريمة، كما أنّ سوءَ الظَنِّ بِعُمومِ المُسْلِمينَ . فَضْلاً عَنْ خَواصِّهِمْ . مِنَ الطِّباعِ اللَّئيمة.

---

٢١٦) أخرج البخاري في «صحيحه»: كتاب الرقاق: باب التواضع: برقم (٦٥٠٢) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله قال من عادى لي ولياً فقد آذنتُه بالحرب، وما تقرّب إلي عبدي بشيء أحبّ إلي مما افترضتُ عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنتُ سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددّتُ عن شيء أنا فاعله ترددُّي عن نفس المؤمن؛ يكره الموتَ، وأنا أكره مساءته».

وَدُخولُكَ فيما وَرَدَ لا تَظُنَّنَّ بِكَلمةٍ بَرَزَتْ مِنِ امْرِئٍ سوءاً، وأنْتَ تَجِدُ لها في الخَيْرِ مَحْمَلاً حَسَناً وَخَيْراً، وَخَلاصاً مِنَ النَّفْسِ والشَّيْطانِ.

وَعَلَيْكَ بِالصَّبْرِ، وإيَّاكَ أنْ تَسْمَعَ بمَلَذِّ الكلامِ المُتَقَدِّمِ فَتدَّعيهِ لَكَ مَقاماً، فَمنِ ادّعى بِالشَّيْءِ قَبْلَ الأوانِ، عوقِبَ كما قَرَّروهُ بِالإبْعادِ والحِرْمانِ. وانْ أرَدْتَ اللُّحوقَ بِالقَوْمِ فادْخُلْ في الطِّريقِ، وانْزِلْ عَلى نَفْسِكَ بِسياطِ اللّوْمِ.

الحِفْظُ والعِصْمة

فَما أظُنُّ ذَلِكَ الِاعْتِراضَ إلّا عَنْ غَيْرة ناشِئة، وأنا أدُلُّكَ ما هي.

وَهو أنَّ الشَّخْصَ مِنْهُمْ لَيَذْهَبُ لِطَلَبِ العِلْمِ بِنيّة فاسِدة كما تَقَدَّمَ، فَيَسْتَقيمُ السِّنينَ المُتَطاوِلة عَلى ذَلِكَ، فَيأتي بِدَعوى: إنّي عالِمٌ، فَيَخْفِضُ اللهُ أمْرَهُ وَقَدْرَهُ، فَيَمْكُثُ السِّنينَ المُتَطاولةَ لا يَرى لهَ تِلْميذاً.

أمّا أوَّلاً فلِدَعْواهُ العِلْمَ وَلَمْ يَكُنْ فيهِ عَنْ حالٍ. والمقالُ في كُلِّ مَجالٍ عارٍ عَنَ الأفْعالِ بَطّالٌ. وَلَمْ يَكُنْ فيهِ عَنْ ذَوْقٍ رَبّاني، وَسِوى هذا لا يُفيدُ المَعاني، إلّا بِتَلَقٍّ عَنْ عارِفٍ يُخْبِرُ عَنْ عالَمِ اللّاهوتِ. وَما سِوى هذا لا يَكونُ بِالكَمالِ مَنْعوتٌ.

وَثانياً: أنّهُ لَمْ يُفِدْ فيهِ وَعْظُ مَنْ حَضَرَ عَلَيْهِ، فَكَيْفَ يَسْري وَعْظُهُ في غَيْرِهِ، أو يُلْتَجى إليْهِ!

وَقَدْ رأيتُ كَلاماً لِلْأُسْتاذِ الشَّعْراني، بِأنَّهُ مِنْ جُملة الظَّلامِ الَّذي يَدْخُلُ عَلى ذَواتِ العِبادِ اعْتِقادُهُم أنّ الهِمَمَ في الأمْواتِ.

وَمِنَ الدَّليلِ عَلى ذِلكَ أنّهُمْ بِحَيْثُ لَوْ سَمِعوا كَلِمة مُسْتَشْكَلة . وَكانَتْ مَعْزيةً إلى مَيِّتٍ . أوَّلوها، وإنْ كانَتْ عَنْ حَيٍّ . وَكانَتْ أقْرَبَ مِنَ الأولى إلى التّأويلِ . أنْكَروها! فَما هذِهِ إلّا دَسيسةٌ شَيْطانيةٌ؛ مَخافة أنْ يَنْتَفِعَ الحَيُّ بِالحَيِّ . اهـ [٢١٧].

أو لِجَهْلِهِ يَظُنُّ أنّ مَنْ دَخَلَ طَريقَ التَّصَوُّفِ صارَ مَعْصوماً، لِكَوْنِهِ يَرى شَيئاً عَلى ظَواهِرِهِمْ ما يَظْهَرُ مِنْهُ المُخالفة. وَهَذا مَحْضُ ضَلالٍ؛ لأنّ الصّوفيَّ . أو الدّاخِلَ في طَريقِ التَّصَوُّفِ . لَيْسَ بِنَبيٍّ؛ فَجائزٌ أنْ تَقَعَ مِنْهُ هَفَواتٌ.

هذا، وَقَدْ سُئِلَ سيّدُ الطّائِفَتيْنِ الجُنَيْدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ العارِفِ: هَلْ يَزْني؟ فاطْرَقَ مَليّاً ثُمَّ رَفَعَ راسَهُ وَقالَ: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾﴾ [الأحزاب: ٣٨] [٢١٨].

وَقال سيِّدي أحْمَدُ بْنُ المُبارِكِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ [٢١٩] ناقِلاً عَنْ شَيْخِهِ عَبْد العَزيزِ الدَّبّاغِ . نَفَعَنا اللهُ بِبَرَكاتِهِ . قالَ: وَسَمِعْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقولُ:

---

٢١٧) لم أهتدِ إلى هذه العبارة في أيّ مؤلفات الشعراني الكثيرة، والله تعالى أعلم.

٢١٨) ذكره ابن عجيبة في «إيقاظ الهمم في شرح الحكم» ص ٢٤٠.

إنَّ الَّذينَ أَلَّفوا في كَراماتِ الأولياءِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، وإنْ نَفَعوا النّاسَ مِنْ حَيْثُ التَّعْريفُ بِالأولياءِ، فَقَدْ أَضَرّوا بِهِمْ كَثيراً، مِنْ حَيْثُ أَنَّهُمُ اقْتَصَروا عَلى ذِكْرِ الكَراماتِ، وَلَمْ يَذْكُروا شَيْئاً مِنَ الأُمورِ الفانيةِ الَّتي تَقَعُ مِنَ الأولياءِ الَّذينَ لَهُمْ تِلْكَ الكَراماتُ؛ حَتّى إنَّ الواقِفَ عَلى كَلامِهِمْ إذا رأى كَرامة عَلى كَرامة، وَتَصرُّفاً عَلى تَصرُّفٍ، وَكَشْفاً عَلى كَشْفٍ، تَوَهّمَ أنّ الوَلي لا يَعْجِزُ في أمْرٍ يُطْلَبُ فيهِ، وَلا يَصْدُرُ مِنْهُ شَيْءٌ مِنَ المُخالَفاتِ وَلَوْ ظاهِراً؛ فَيَقَعُ في جَهْلٍ عَظيمٍ؛ لأنّهُ يَظُنُّ أنّ الوَليَّ موصوفٌ بِوَصْفٍ مِنْ أوصافِ الرّبوبيةِ، وَهو أنْ يَفْعَلَ ما يَشاءُ وَلا يَلْحَقُهُ عَجْزٌ، وَبِوَصْفٍ مِنْ أوصافِ النُّبوةِ وَهَوَ العِصْمة، والأمْرُ الأوّلُ

---

٢١٩) أحمد بن مبارك بن محمد بن علي بن مبارك، السجلماسي اللمطي. نسبة إلى لَمَط (بفتحتين) من قرى سجلماسة. أبو العباس (١٠٩٠ - ١١٥٦ هـ = ١٦٧٩ - ١٧٤٣م) فقيه مالكي، عارف بالحديث والتفسير، تقدم حتى صرح لنفسه بالاجتهاد المطلق، وفي العلماء من أنكر عليه بعض أقواله.له: «الإبريز» جمع فيه كلاماً لشيخه عبد العزيز الدباغ ومساجلات بينهما، و«رد التشديد في مسألة التقليد»، و«إزالة اللبس عن المسائل الخمس»، و«تقييدات على السلم للأخضري».

يُنظر: «الأعلام» للزركلي ١/٢٠١-٢٠٢.

مِنْ خَصائِصِ الرّبوبيةِ، وَلَمْ يُعْطِه اللهُ تَعالى لِرُسُلِهِ الكِرامِ فَكَيْفَ بِالأولياءِ؟

قال اللهُ تَعالى لِنَبيهِ ﷺ: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [آل عمران: ١٢٨].

وَقالَ تَعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ [القصص: ٥٦].

وَقال ﷺ: «سألتُ رَبّي ﷻ اثْنَيْنِ فأعْطانيهِما، وَسألتُهُ اثْنَيْنِ فَمَنَعَنيهِما. قالَ تَعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ ﴾، فَقُلْتُ: أعوذُ بِوَجْهِكَ الكَريمِ. فَقالَ: قَدْ فَعَلْتُ ﴿ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾. فَقُلْتُ أعوذُ بِوَجْهِكَ الكَريمِ. فَقالَ: قَدْ فَعَلْتُ ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا ﴾ فَقُلْتُ: أعوذُ بِوَجْهِكَ الكَريمِ. فَقالَ: قَدْ سَبَقَ القَضاءُ، ﴿ وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ [الأنعام: ٦٥]. فَقُلْتُ: أعوذُ بِوَجْهِكَ. فَقالَ: سَبَقَ القَضاءُ» (٢٢٠).

---

٢٢٠) لم أجد الحديث بهذا السياق! وقد أخرج البخاري في «صحيحه»: كتاب التفسير: سورة الأنعام: باب ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ ﴾ [الأنعام: ٦٥]:

وَقالَ تَعالى في سُؤالِ نوحٍ نَجاةَ ابْنِهِ مِنَ الغَرَقِ: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [هود: ٤٥ – ٤٦].

وَقالَ تَعالى ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ﴾ [التحريم: ١٠].

والنّاسُ اليَوْمَ إذا رأَوا وَلياً دَعا فَلَمْ يُسْتَجَبْ لَهُ، أو رأَوْا وَلَدَهُ عَلى غيْرِ طَرِيقٍ، أو امْرأتَهُ لا تَتَّقي اللهَ، قالوا: لَيْسَ بِوَلِيٍّ؛ إذْ لوْ كانَ وَلياً

برقم (٤٦٢٨) عن جابرٍ قال: لما نزلت هذه الآية ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ ﴾. قال رسول الله ﷺ: «أعوذ بوجهك». قال ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾. قال: «أعوذ بوجهك». ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾. قال رسول الله ﷺ: «هذا أهون»، أو «هذا أيسر».

وأخرجه الترمذي في «جامعه»: كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ: باب ومن سورة الانعام: برقم (٣٠٦٥).

لاسْتَجابَ اللهُ دُعاءَهُ ! ولو كان وَليّاً لأصْلَحَ أهْلَ دارِهِ ! وَيَظُنّونَ أنّ الوَليَّ يُصْلِحُ غيْرَهُ، وَهو لا يَقْدرُ عَلى إصْلاحِ نَفْسِهِ.

قالَ اللهُ تَعالى: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ﴾ [النور: ٢١].

وأمّا الأمْرُ الثّاني. وَهو العِصْمة. فَهو مِنْ خَصائِصِ النُّبوةِ، والوِلايةُ لا تُزاحِمُ النُّبوةَ.

قالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

والخيرُ الَّذي يَظْهَرُ عَلى يَدِ الوَليِّ إنَّما هو مِنْ بَرَكَتِهِ ﷺ؛ إذ الإيمانُ الَّذي هو السَّبَبُ في ذَلكَ الخَيْرِ إنَّما وَصَلَ إليْهِ بِواسطة النَّبيِّ ﷺ.

أمّا ذاتُ الوَلي فإنَّها كَسائرِ الذَّوات بِخلافِ الأنْبياءِ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ، فإنّهُمْ جُبِلوا عَلى العِصْمة، وَفُطِروُا عَلى مَعْرِفة اللهِ تَعالى وَتَقْواهُ، بِحَيثُ أنّهُمْ لا يَحْتاجونَ إلى شَرْعٍ يَتَّبِعونَهُ، وَلا إلى مُعلِّمٍ يَسْتفيدونَ مِنْهُ. والحقُّ السّاكِنُ في ذَواتِهِمْ، وَهو حَرْفُ النُّبوةِ الَّذي طُبِعوا عَلَيْهِ يَسْلُكُ بِهِمُ النَّهْجَ القويمَ، والطَّريقَ المُسْتَقيمَ.

قالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

وَلَوْ أنَّ النّاسَ الَّذينَ ألَّفوا في الكَراماتِ قَصَدوا إلى شَرْحِ حالِ الوَلِيِّ الَّذي وَقَعَ التّأليفُ فيهِ، فَيذْكُرونَ ما وَقَعَ لهُ بَعْدَ الفَتْحِ مِنَ الأُمورِ الباقيةِ الصّالحةِ، والأُمورِ الفانيةِ، لَعَلِمَ النّاسُ الأولياءَ عَلى الحقيقةِ، فَيَعْلَمونَ أنَّ الوَلي يَدْعو تارة فَيُسْتَجابُ لهُ، وَتارة لا يُسْتَجابُ لهُ، وَيُريدُ الأمرَ، فَتارة يُقْضى، وَتارة لا يُقْضى؛ كما وَقَعَ لِلأنْبياءِ والرُّسُلِ الكِرامِ عَلَيهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ.

وَيَزيدُ الوَلي بِأنّهُ تارة تَظهَرُ الطّاعة عَلى جَوارِحِهِ، وَتارة تَظهَرُ المُخالفة عَلَيْها، كَسائرِ النّاسِ، وإنَّما امْتازَ الوَليُّ عَنهمْ بِأمْرٍ واحِدٍ، وَهو ما خَصَّهُ اللهُ تعالى بِهِ مِنَ المَعارِفِ، وَمَنَحَهُ مِنَ الفُتوحاتِ.

وَمَعَ ذَلِكَ فالمُخالفةُ إنْ ظَهَرَتْ عَلَيْهِ، فإنَّما هي بِحَسَبِ ما يَظْهرُ لَنا لا في الحَقيقة؛ لِأنَّ المُشاهَدة الَّتي هو فيها تأبى المُخالفة، وَتمْنَعُ مِنَ المَعْصيةِ مَنْعاً لا يَنتْهي إلى حدِّ العِصْمة، حَتّى تُزاحِمَ الوِلايةُ النُبوةَ.

فإنَّ المَنْعَ مِنَ العِصْمة ذاتيٌّ في الأنْبياءِ، عَرَضيٌّ في الأولياءِ، فيُمْكِنُ زَوالُهُ في الأولياءِ، ولا يُمْكِنُ زَوالُهُ في الأنْبياءِ.

وَسِرُّهُ ما سَبَقَ، وهو: أنَّ خَيْرَ الأنْبياءِ مِنْ ذَواتِهِمْ، وخَيْرَ الأوْلياءِ مِن غَيرِ ذَواتِهِمْ.

فَعِصْمة الأنْبياءِ ذاتيّة، وَعِصْمة الأولياءِ عَرَضيةٌ؛ فإنَّ العارِفَ الكامِلَ إذا وَقَعَتْ مِنْه مُخالَفةٌ فَهي صوريةٌ لا حَقيقيّة، قصَدَ بِها امْتِحانَ مَنْ شاهَدَها واخْتِبارَهُ، وَلذَلِكَ أسْرارٌ.

فَنَطْلُبُ مِنَ اللهِ تَعالى أنْ يوفِّقَنا لِلإيمانِ بِأوليائِهِ، كَما وَفَّقَنا لِلإيمانِ بِأنْبيائِهِ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ.

قَالَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: وَمَنْ عَلِمَ سيرة النَّبيِّ ﷺ في أكْلِهِ وَشُرْبِهِ وَنَوْمِهِ وَيَقَظَتِهِ وَجَميعِ أحْوالِه في بَيْتِهِ، وَعَلِمَ سيرَتَهُ في حُروبِهِ وَغَزواتِهِ، وَكيْفَ يُدالُ لَهُ مَرّة، وَيُدالُ عَلَيْهِ أُخْرى.

وَكَيْفَ يَطْلُبُ منْهُ أُناسٌ قَوْماً مِنْ أصْحابِهِ، ثمَّ يَذْهَبونَ وَيغْدُرونَ بِهِمْ كما في غَزْوة الرَّجيعِ وَغَزْوة بِئْرِ مَعونة؟ وَعَلِمَ ما وَقَعَ في قِصّة الحُدَيْبيةِ وَغَيْرِها، وَلِكُلِّ ذَلِكَ أسْرارٌ رَبّانيةٌ، أطْلَعَ اللهُ تَعالى علَيْها نَبينا ﷺ.

فَمنْ عَلِمَ ذَلِكَ هانَتْ عَلَيهِ مَعْرِفةُ الأولياءِ وَلا يسْتكْثِرُ ما يَراهُ عَلى ظاهِرِهِمْ مِنَ الأُمورِ الفانيةِ، والأوصافِ البشَريةِ.

فَعَلى العاقِلِ الَّذي يُحِبُّ الخَيرَ وَيُحِبُّ أَهْلَهُ أنْ يُكْثِرَ مِنْ مُطالعة سيرَتِهِ ﷺ فإنَّهُ يَهْديهِ ذَلِكَ إلى مَعْرِفة الأولياءِ العارِفينَ، وَلا يُشْكِلُ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أُمورِهِمْ.

وَهذا القَدْرُ هو الَّذي يُمْكِنُ أنْ يُبَيِّنَهُ القَلمُ. والعاقِلُ اللَّبيبُ تَكْفيهِ الإشارة، واللهُ الموفِّقُ. اهـ حَرْفياً مِنَ «الإبريزِ» (٢٢١).

فَناهيكَ. يا أخي. بِهذِه العِبارة الصّادِرة عَنْ هذا الأُسْتاذِ.

واعْلَمْ. يا أخي. أنَّما كانَ الاعْتِراضُ مِنْ عَدَمِ الِاطِّلاعِ؛ فالسُّنّة واسِعة؛ إذِ الشَّريعة واحِدةٌ مِنْ لَدُنْ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى الآنَ، وانَّما فَقَطْ تَتَلَوَّنُ بِلَوْنِ الإناءِ كالماءِ.

وَعَلى هذا المِنْوالِ طَريقُ اللهِ تَعالى في الحَقيقة واحِدة، وإنَّما تَعَدَّدتْ فيها المَشارِبُ؛ فالمَقْصِدُ واحِدٌ [من الطويل]:

وَكُلٌّ إلى ذلِكَ الجَمالِ يُشيرُ (٢٢٢)

---

٢٢١) «الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز» ص ٣٢٢-٣٢٣.

٢٢٢) عجزُ بيت شهير كثُر التمثُّل به، ولم أهتد إلى قائله، وهو بتمامه:

عباراتنا شتى وحسنك واحدٌ = وكلٌّ إلى ذاك الجمال يشيرُ

وقد ذكره الأنطاكي في «تزيين الأسواق بأخبار العشاق» ص ٣٩٨.

فإيّاكَ أنْ تَمْدَحَ طَريقة عَنْ طَريقة، بَلْ كُنْ مُحِبّاً لِلْكُلِّ تَحْظَ بِالكُلِّ، واخْرُجْ عَنِ المُطاعَنة، فالتَّفاوُتُ في الشَّيْخِ العارِفِ فَقَطْ، واللهُ أعْلَمُ بِالصَّوابِ.

[من الوافر]

كِتابٌ سالِمٌ مِنْ كُلِّ نَقْصٍ وَحُسْنُ القَوْلِ فيهِ كَما تَراهُ
فَمَنْ كُشِفَتْ لَهُ الأسْرارُ حَقّاً يَرى سَيْرَ الطَّريقة في حِباهُ

مسرد الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة هذه الطبعة	٢
ترجمة المؤلف	٦
نماذج من الأصل	١٢
مُقَدِّمة	١٤
أَخْذُ العَهْدِ	٢٦
فَوائِدُ التَّلْقينِ	٣٢
صِفاتُ الشَّيْخِ المُرْشِدِ	٣٥
آدابُ المُريدِ مَعَ الشَّيْخِ	٣٨
فَصْلٌ	٤٠
آدابُ المُريدِ مَعَ إخْوانِهِ	٤٥
آدابُ المُريدِ مَعَ العامّة	٥٣
الذِّكْرُ	٥٧
السَّماعُ	٨٥
حَمْلُ العَصا	١٠٣

الموضوع	الصفحة
لُبْسُ المُرَقَّعة	١١٠
لُبْسُ الخِرْقة	١١٢
لُبْسُ الزّي المُلَوَّنِ والعَمائِمِ	١١٣
الضَّرْبُ بِالدُّفِّ وَغَيْرِهِ	١١٦
فَصْل	١٤٢
فَصْل	١٤٥
إظْهارُ الكَراماتِ والخَوارِقَ	١٥٧
عِباراتُ القَوْمِ	١٦٢
الحِفْظُ والعِصْمة	١٦٧
مسرد الموضوعات	١٧٧